ملحق الكتروني تصدره جريدة «العدالة» اليومية، يهتم بترويج الافكار والمفاهيم
لتحرير القدس واراضينا المحتلة، ومقاومة الصهيونية والهيمنة

بسم الله الرحمن الرحيم

ملحق العدالة

وحدة الساحات | أصالة الوعي | تكامل المسؤوليات

((إنّ هذه امَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ))

((وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ * إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ * وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ * وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا.))

((وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا . ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا.))

العدد 12 -**الأثنين** 18 آب 2025

ان ما يتم نشره في الملحق يمثل رأي الكاتب ولا يعبر بالضرورة عن رأي (العدالة)

رؤيـة

ارتأت هيئة تحريـــر جريدة «العدالة» إصـــدار ملحق دوري يتنـــاول القضايا الفكرية ذات الأبعـــاد المعرفية والتأسيســـية والتحليلية المعمقة. فهناك حقيقـــة واضحة وهي ان تطور الاعلام وسرعة انتشاره، وتعدد وسائله قد راكم مفاهيم تعتمد الكم على حساب ألنوع. وتعتمد التبسيط والتعابير الشعبوية وسعة النشر والترويج على حساب سلامة المفاهيـــم وصحة بناءاتها ودقة معلوماتها. ولاشـــك ان ذلك قد اثـــر ويؤثر في مختلف مناحي الحياة السياســـية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والحقوقية والوطنية. بل هو يؤثر على الحصانات الفردية والجماعية والمجتمعية. فيسهل على قوى الاستغلال والشر والاســـتعمار التلاعب والاختراق بمشاعر النـــاس وعواطفهم لتمرير مخططاتهم وتحقيق اهدافهم.

لقد كشـــف «طوفـــان الأقصى» حقيقـــة لم تكن خافيـــة لكنها لم تظهـــر بالوضوح الذي ظهرت عليه بعد الســـابع من تشـــرين اول (اكتوبر) ٢٠٢٣. كشـــفت ان قضية فلسطين هي ليســـت قضية تحرير ارض سليبة عربية او إســـلامية فحسب. بل هي قضية تحرير فكر وتاريخ وعلاقات ووعي على صعيد عالمي، وليســـ على صعيد محلي فقط. فالصهيونية والاستعمار والهيمنة والمعايير المزدوجة والاســـتغلال والليبرالية والجندرية والفصل العنصري والإبادة الجماعية وانتهاك حقوق الأفراد والشـــعوب كل مترابط. فهناك وعي مغرض سقيم يســـعى الطغاة والمستغلين نشـــره وترويجه. وهناك وعي هادف سليم يســـعى المخلصون ترســـيخه وحمايته. ونحن ســـنبذل جهدنا لان نؤدي ولو بمساهمة بســـيطة في خدمة الوعي الجاد والســـليم بنقل الكثير من الكتابات والمقالات الواعية المفيدة التي ينتفع بها الجميع وليس جهة او بلد واحد. فوحدة الساحات وتعميق الوعي وتحمل المسؤليات لا تخص ساحة واحدة بل تخص البشرية كلها.

هيئة تحرير العدالة

فهرست

ملخص حوار «الميادين» مع الدكتور لاريجاني ٥
د. علي لاريجاني

بعد حرب الـ١٢ يوماً خيارا الكيان:
«الشمشونايت» النووي، أو «السامسونايت» ١١
لاري جونسون

الانهيارات الامريكية العميقة وانعكاساتها على النظام العالمي ١٧
د زياد الحافظ

قيمومة المقاومة وشرعيتها، بشرطها وشروطها ٢١
السيد عادل عبد المهدي

ايران تعيد التحالفات وتشكيل المنطقة و العالم ٣٥
جاك ما

مَاذَا أَصَابَ الأُمَّةَ الإسْلامِيَّةَ مِنْ فُتُورٍ... ٤٧
دولة عبد العزيز صالح بن حبتور

الجمهورية الثانية: إعادة بناء مصر و العقد الاجتماعي ٥١
الدكتور يزيد الصايغ

النص الكامل لمؤتمر بريكس في البرازيل لسنة ٢٠٢٥ ٦٥
مع تعليق لجيفري ساكس

ملحق العدالة

ملحق الكتروني تصدره جريدة «العدالة» اليومية، يهتم بترويج الافكار والمفاهيم لتحرير القدس واراضينا المحتلة، ومقاومة

الصهيونية والهيمنة

صاحب الامتياز: السيد عادل عبد المهدي

مدير التحرير: د.علي الشاطي

التصميم: العدالة

ALADALAEDITOR@YAHOO.COM

ALADALANEWS.NET

الوان المقالات:

مكتوبة

محكية

مترجمة

لفتح المكتبة الرقمية المعرفية (PDF) اضغط على الرابط الاتي.

د. علي لاريجاني

٢٠٢٥/٨/١٥

(تلخيص بتصرف)

ملخص حوار «الميادين» مع الدكتور لاريجاني

العلاقة بالعراق ولبنان؟

تمتلك إيران علاقات اخوة وصداقة قوية واستراتيجية مع لبنان والعراق، ونحن نتحاور مع بعضنا في مختلف الامور المشتركة. حاولنا ان نبحث الامور الاستراتيجية في بغداد، ووقعنا اتفاقية امنية والنقطة المحورية في هذه الاتفاقية الامنية اننا نسعى الى ان نصل الى امان وثبات واستقرار للبلدين وهذه هي النظرة العامة للجمهورية الاسلامية لواقع التعاون الاقليمي. وفي لبنان ايضا وبسبب العلاقات المتينة التي تربطنا وبسبب الاحداث المستجدة

هناك ضغوطات امريكية، فماذا جرى مع الرئاسات الثلاث في لبنان؟

ما قاله السيد ترامب انه يريد ان يبني السلام في المنطقة عن طريق القوة، يعني إنه أما على الجميع في المنطقة ان يستسلموا او ان يحاربوهم. رؤيتنا مختلفة. نحن نعتقد انه في المنطقة يجب ان يسود الأمان عبر استقلالية وقوة واحترام سيادة الدول، ولا حاجة لان يستسلم اي بلد لبلد آخر. وهما نظرتان مختلفتان. فالغضب الأمريكي من زيارتنا ليس أمراً مستغرباً. أما عن لقاءاتنا مع الرؤساء وبعض السياسيين من الشيعة والسنة والدروز والمسيحيين فكانت لقاءات جيدة. تمحور البحث على ان موقف الجمهوريه الاسلاميه هو ان لبنان دولة شقيقة لنا، ونحن في جميع الظروف نقف وندافع على لبنان ومقاومته. ونرى ان المقاومة رأسمال كبير لبلدان المنطقة ومنها لبنان. من الممكن ان تكون هناك وجهة نظر اخرى. فالجميع لا يفكر بشكل واحد. لكن ما يتجلى في الآيات الالهية، انه عندما تكون هناك مقاومة في البلد وعلينا ان نحترم ونفضل من يقومون بالجهاد والدفاع عن البلد ونفضلهم على القاعدين. فمقامهم أعلى. وقطعاً كل دولة تتخذ القرارات بناء على نظامها ونظام الحكم فيها. نحن لا نتدخل في هذا الشان. ونعتقد ان المقاومة تتمتع بالبلوغ السياسي الكافي. ولا تحتاج لتوجيهات أحد. وعندما يطلبون منا المساعدة نساعدهم ونقدم لهم المشورة. وبالطبع هم يتخذون القرارات المناسبه بعد تقييم الظروف ونحن نبحث الامور المختلفه مع اصدقائنا في المنطقه.

القلق في لبنان من المقاومة؟

الحقيقة ان موضوع المقاومة لا ينحصر بالشيعة او السنة. المقاومة هي للجميع. والمقاومة ليست طائفية. نحن ندعم وندافع عن «حماس» وهي سنية. وندافع عن «حزب الله» الشيعي. ومن يثير شبهات حول موقف الجمهورية الاسلامية اللاطائفي لا يفهم خياراتنا، رغم الحقائق الميدانية. النقطة الثانية، هل علينا تغيير وجهات نظرنا؟ ونقول في ظروف المنطقة إننا لا ندعم المقاومة. ابداً. نحن نعتقد ان المقاومة هي رأسمال كبير للامة الاسلامية. ونعتقد انه في اي دولة توجد، علينا ان نساعدها. لكننا لا نتخذ ذلك ارضية للتدخل. ونحن نعتقد ان المقاومة الاسلامية لها ما يكفي من القدرة، ولديهم شخصيات كبيرة، وأفكار ممتازة لإتخاذ القرار. ونحن لا نتدخل في قراراتهم، ولا نتدخل في قرارات الدول كذلك. ولكننا نبين وجهات نظرنا بكل صراحه ولا حاجه لنا لاخفاء الامور.

المقاومة ليست للمسلمين فقط، بل للمسيحيين أيضاً، وطبيعة اللقاءات مع الرؤساء؟

نعم المقاومة لم تقتصر على الشيعة والسنة بل هناك تيار مسيحي مشارك مع المقاومة. ان الاستاذ نبيه بري هو من الرجال السياسيين العظماء في لبنان، وكذلك في العالم العربي. ويتمتع بنبوغ سياسي وله باع طويل وتجارب كبيرة. وهو من العناصر الاساسيه في المقاومة. ويعلم جيدا كيف يتصرف في كل الظروف. واليوم تبادلنا وجهات النظر. بالطبع سمعنا وجهة نظره التي تنم عن معرفة شاملة وعميقة. ورأينا ان ما قاله دولته يفتح الباب للمضي قدما نحو حل الامور في لبنان. وبالطبع كان عنده عدة مقترحات فيما يتعلق بامور عدة. على سبيل المثال كيف تتعاون الدول الاسلامية في المنطقة على حل بعض الامور الصعبة، سواء في لبنان او سائر البلدان الاسلامية. ودائما عندما التقيه، أستفيد من وجهات نظره، ومن استشارته. ونحن نتشاور باستمرار. وهو رجل المرحلة الصعبة وكما استطاع ان يتجاوز المراحل الصعبة السابقة بجدارة، سيستطيع ان يتجاوز هذه المرحلة. انا اعتقد انه يملك افكاراً قيمة لحل الامور.

وبشكل عام نقلنا وجهة نظرنا للرئيسين عون وسلام بشكل واضح لتوضيح موقف الجمهورية الاسلامية تجاه المقاومة. وإننا لا نريد ان نتدخل بشؤون الدول. ونحن نعتقد ان الدول تستطيع ان تتخذ القرار المناسب بعد استشارة الأطياف المختلفة. ونحن لا نخفي وجهة نظرنا ونقولها بشكل صريح. لكننا لا نريد ان يحدث بعض سوء التفاهم. فهناك بعض الشياطين في السياسة، الذين يستغلون الاوضاع بشكل سيء ويطلقون مفاهيم مغرضة.

الانطباع عن الرئيسين عون وسلام؟

كل دولة تنتخب رؤسائها ومسؤوليها وفقاً لمزاجها. وعلينا ان نتأقلم ونتعامل مع مختلف الشخصيات. ولا نتوقع ان يكون الجميع مثلنا. ففي المجتمع الدولي علينا أن نجد السبل للتعاون. وأن نتكلم ونتحاور، وهذا هو العمل الدبلوماسي. المرحوم الشهيد مدرس في زمن النهضة الدستورية قبل ١٠٠ عام تقريبا قال انه لا مانع في ان يختلف الرجال السياسيون في الرأي، وأن يطرحوا اراءهم بشكل واضح شرط ألا تتحول الى عداوة. لأن النمو والرقي يأتيان من الحوار.

الزيارة الأولى بعد تولي المنصب، لبلدين عربيين، لماذا؟

منطقتنا منطقة ساخنة. تكثر فيها الاحداث. ويجب ان نتواصل مع الجميع. هناك دول يجب ان نزورها ومنها دول شمال ايران. ولكننا اخترنا العراق ولبنان لإنهما صديقان ونتعاون معهما منذ سنوات طويلة. لم أكن انوي الذهاب الى سوريا، لأنه لا توجد بيننا علاقات حالياً.

اللقاء الأخير بالرئيس السابق بشار الأسد، وآفاق المستقبل مع سوريا؟

لا اعتقد انه حتى لمن هاجم ودخل واجتاح سوريا كان يعتقد إنه يستطيع إسقاط النظام كما حدث. ما حدث كان مختلفا تماما. وزيارتي لسوريا انه كان هناك امر يود السيد بشار الاسد ان يطرحه للبحث. وكان علينا ان نسمعه. لكن الامور والاحداث تسارعت بشكل كبير. وبشكل عام كانت الاحداث في السنتين الماضيتين سريعة جداً. وهذه هي خصوصية هذه المرحلة. لذا لا اعتقد ان احداً من السياسيين سواء في روسيا، أو من الدول الداعمة للسادة الحاكمين، كان يتنبأ أن الامور سوف تجري بهذه السرعة، وتُحدث هذه الفوضى.

إمكانية تطبيع العلاقات مع سوريا موجودة وليست معدومة. هذا يعتمد على ما سنراه من افعال الجمهورية السورية الحالية. الوضع الان مشوش هناك وغير واضح. وهو ليس الوضع الذي نرغب به. ولا نرى حدوث ترتيبات واضحة. و«اسرائيل» تدخلت الان. وإذا تغيرت الامور في المستقبل يمكن ان تكون ثمة علاقات.

العلاقات الايرانية المصرية والتدخل الخارجي؟

نحن نستمر بمحادثاتنا مع اخواننا في مصر، ولا توجد مشاكل، لكن إذا تدخلت أمريكا فهذا موضوع آخر. مصر دولة مهمة في المنطقة ولها تاريخ كبير ومشرف للغاية، ولها حضارة كبيرة وتزخر بالعلماء. والان تعد مصر دولة كبيرة وقوية وممتازة. وباعتقادي ليس بيننا اية مشكلة. واعتقد إننا ومصر لدينا اعداء مشتركون. والمباحثات معها حاليا جيدة ومفيدة. ولكن هناك مشاكل كثيرة ممكن ان يفتعلها الامريكيون. فالساحة الدولية هي ساحة المشاكل والمتغيرات. ولا نخطط الآن زيارة القاهرة، لكن ممكن في المستقبل، إذا استجدت مهمة محددة.

الهجوم الإسرائيلي واسقاط النظام وأدلة إنتصار إيران؟

إن دليل انتصار الجمهوريه الاسلاميه هو إنهم أرادوا إسقاط النظام، وقد خططوا لهذا الامر منذ ١٤ عاما وفشلوا. كان مخططهم ان يثيروا الفتنة. وان ينزل الناس إلى الشوارع. وهذا ما صرح به نتنياهو عدة مرات. وهذا من غباءه. وما حدث كان على عكس ما تصور. حتى المعارضة في إيران وقفت مع النظام في الجمهورية الاسلامية. وهزيمة أخرى لنتنياهو إنه كان يظن ان دول المنطقة ستدعم إسرائيل، لوجود بعض المشاكل مع الجمهورية الاسلامية. ولم يحصل ذلك بل اجتمعت ودعمت الجمهورية الاسلامية. وعدم تحقيق كل ذلك هو دليل على الهزيمة الاستراتيجية «لإسرائيل». نعم هي استطاعت عبر الغدر ان تغتال بعض شخصيتنا وقياداتنا وتدمر بعض الأبنية. وإذا قارنا «اسرائيل» والجمهورية الاسلامية، من حيث عدد السكان والجغرافيا، فإن الدمار الذي احدثته الصواريخ الايرانية، كان نسبياً اكثر مما حدث لدينا. ثم إن «اسرائيل» خسرت تكتيكياً أيضاً. الكيان الصهيوني يخفي دائماً خسائره. والكثير من وسائل الاعلام اعلنت إن «إسرائيل» تحولت الى جهنم وأصبحت مثل غزة. و«ترامب» نفسه قال إن إيران بواسطة صواريخها جعلت «نتنياهو» في جهنم. فإذا وضعنا هذه كلها الى جانب بعضها البعض نعلم أن هناك هزيمة استراتيجية للكيان الصهيوني. ممكن أن نسمع كلاماً إعلامياً مختلفاً. فهو من بدأ الحرب، وهو من طلب وقف إطلاق النار، ونحن لم نطلب. وفشل في تحقيق أهدافه الاستراتيجية والتكتيكية. ونحن مستعدون دائماً للرد بقوة، على أي هجوم من الكيان الصهيوني، الذي لن يترك المنطقة تستقر. فما دام «نتنياهو» موجوداً على سدة الحكم فلن يدع الأمور تستقر. نتنياهو شخص شرير ولن يدع الأمور تستقر في فلسطين ولبنان. ويستهدف في كل يوم مكاناً. وكذلك في الدول الأخرى. كما في سوريا وهذا التخبط الأمني الذي يحدثه. هذا غير مقبول، وما دام موجوداً فلن يكون هناك استقرار وأمن، وهو يفتعل الأزمات لمصالحه الشخصية.

المفاوضات المباشرة بين ايران وامريكا؟

المفاوضات أمر تكتيكي. ويمكن ان تكون على وجهتين. إما ان تعلم الدولة أن الحرب غير مجديه فتتجه نحو المفاوضات، وهذه مفاوضات مجدية. أو ان تستفيد من المفاوضات كخدعة لكي تتجه الى الحرب التالية. وهذه مفاوضات خادعة. اذاً على الامريكيين تحديد موقفهم. اولاً، إنهم الان عندما يتحدثون عن المفاوضات فهم في الوقت نفسه يتحدثون عن الحرب. وهذا يعني أنهم لم يدركوا ان الحرب لن تجدي. إذا ادرك الامريكيون يوماً أن الحرب لن تجدي نفعاً لهم، وتجلب لهم الخسائر ايضاً، سنتجه نحو المفاوضات. ايران لن تركع في الحرب. ما حدث في إيران من ثورة اسلامية كانت ثورة متجذرة وكبيرة جداً. وهي أكبر ثورة شعبية. فهي ليست كانقلاب عسكري حدث في بعض الدول، مثل ليبيا وسوريا. فالناس في إيران نزلوا بالملايين الى الشوارع، وشاركوا في الثورة بوعي ثوري راسخ. اكثر من ٧٧٪ من الشعب شارك في الثورة. فإذا ادرك الأمريكان إنهم عبر العمليات العسكريه لا يستطيعون ان يحصلوا على استسلام إيران ليأخذوا ما يريدون منها، عندها لن ترفض إيران المفاوضات، لانها ستكون مفيدة.

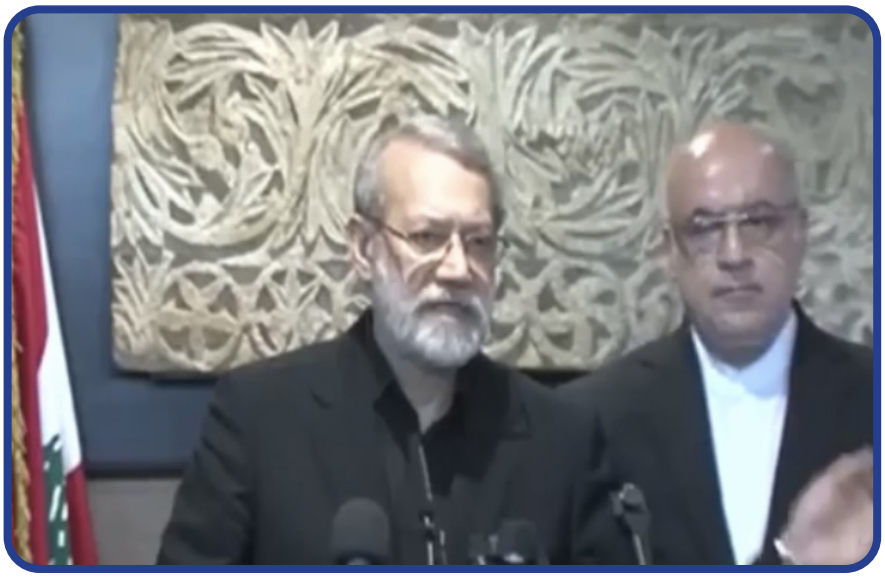

استعداد إيران لتسوية شاملة مع امريكا؟

علينا ان نمشي في هذا الموضوع خطوة بخطوة. علينا ان نرى اولاً هل ستكون امريكا صادقة في هذه المفاوضات. هل الاطروحات التي تقدمها الان على سبيل المثال في لبنان او في العراق صادقة حقاً. وتاخذ بأولوية مصالح الشعب اللبناني أو العراقي حقاً؟ اعتقد انه ما دامت نظرية امريكا هي ان علينا ان نحقق السلام بالقوة، فهذا معناه إما الاستسلام وإما الحرب. وهذا لا يجدي نفعاً. انا لا اعتقد انهم سينجحون أيضاً في أي مكان اخر، إلا اذا استسلمت الدول، كما فعلت سوريا. لقد استسلموا بالكامل لهم، وها هي النتيجة. ولكن الدول التي تقيم لنفسها مكانة واحتراماً، ولديها قوة، فإنها لن تستسلم. في اثناء الحرب قال ترامب عليكم ان تستسلموا. ولكن قائد الثورة رفض هذا الامر. وصفع ترامب على فمه لكي لا يكرر هذا الكلام. إيران لم تستسلم ولن تستسلم. ولذلك علينا ان ننظر الى الساحه بشكل جيد. البعض يظن ان المفاوضات ستحل كل شيء. المفاوضات تكون مفيدة عندما تستطيع وتدرك الاطراف عجزهم عن تحقيق ما يريدون عبر الحروب. هنا تتقدم المفاوضات. ولكن عندما يعتقد الطرف الاخر انه بالقوة يستطيع ان يأخذ ما يريد، فهنا المفاوضات لا تعطي اية ثمرة، إلا اذا غيروا نظرتهم للمفاوضات.

البعض يتسائل عن امكانية التسوية مع أمريكا؟

لا يمكن نفي وجود وجهة نظر ترى الحل بتسوية مع الولايات المتحدة. نحن لا نعتقد بهذا. وانا لا اعتقد ان هذا الكلام هو كلام عميق. وأنا اسأل ان كان هناك دولة تقول لك، إما ان تستسلموا، أو أن تحاربوا. فهل هناك مكان للتفاوض او الصداقة، مع هذه الدولة. التي لا تريد سوى ان تحفظ مصالحها ولا تراعي أبداً مصالح الدول الاخرى. نحن لا نرى ذلك، وإيران دولة مقتدرة وقوية. اعتقد ان الرؤية في المنطقة والعالم سوف تتغير، ولن تبقى احادية القطب. هل هم الان يستطيعون مواجهة الصين. صحيح إنهم يفرضون هناك تعريفة جمركية على البضاعه الصينية. ولكن الصين ايضا تقابلها بالمثل. هل استطاعوا فرض اوامرهم على بوتين. اذاً نحن يجب الا نضع انفسنا لقمة سهلة لهم. علينا ان نكون اقوياء وصامدين في وجههم. لذلك انا لا اوافق على ان مفتاح الدخول الى الدول العربية هو امريكا. كما أشير الى نقطة اخرى، وهي أن الدول العربية الصديقة لأمريكا وتتواجد فيها قواعد وتعتمد على الامريكيين، لا يمكن ان تهبط بحبل الامريكان الى البئر. وأنا التقيت ببعض المسؤولين في هذه الدول في السنوات الماضية. ورأيت انهم لا يثقون ثقة كاملة بالامريكان، وكانوا يريدون ان يقيموا علاقات بدول اخرى، كالصين وايران. رغم انهم يريدن ايضاً الحفاظ على علاقاتهم بامريكا. يقينا هناك بعض العقبات. لكن بين الصفر والمئة هناك أعداد اخرى. والامريكان لا يستطيعون ان يقطعوا علاقاتنا بالدول العربية. وهذه العلاقة لن تصل الى المئة، لكنها ستبقى مفيدة.

والعلاقة بين ايران والسعودية وقضايا المنطقة؟

هناك بداية جيدة مع السعوديه وعلينا ان نعمق هذه العلاقة. لا اقول اننا نتفق في جميع الامور والملفات. ولكن اعتقد اننا نستطيع ان نعمق ونوسع هذه العلاقة. والاتفاق جيد ويمكن العمل والتعاون في اطار وثيقة الاتفاق الجيدة هذه. التي نتحدث عنها.

انا قطعاً أحبذ ان نتجه نحو حل جميع الملفات في المنطقة بالحوار مع بلدان مثل السعوديه ومصر. ولا اعتقد ان هناك خلافات كبيرة. اعتقد اننا نختلف في بعض الاليات. وبعض وجهات النظر. ولكن الحل هو في الحوار. هم اصدقاؤنا واخوتنا وكذلك الدول الاسلامية جميعها. وقطعا أرى ان هذا امر مفيد.

دور السيد خامنئي في الحرب، وتهديد «إسرائيل» للدكتور لاريجاني بالاغتيال؟

أنا تم تهديدي بالقتل في اليوم الاول من المعركة عبر الهاتف، وتم تهديدي عبر الموساد. وطبعاً اجبتهم بما يليق بهم. أما السيد الخامنئي فهو قلب الموازين في الحرب. لأنهم في اليوم الأول استطاعوا ان يغتالوا عدداً كبيراً من قياداتنا. واستطاع القائد أن يستبدلهم بسرعة. وخلال بضع ساعات فقط. وهذا امر مهم جداً. وبعد ذلك ظهر في خطاب الى الشعب الايراني أوضح لهم شكل المواجهة، واهمية المرحلة بهدوء يتضمن القوة. لقد غير المعادلة. قال الامريكيون بوقاحة عليكم ان تستسلموا. أجابهم بقوة، لن نستسلم وسنواجه بقوة. والقوات المسلحة ايضاً دافعت بقوة وشراسة. وعندما كانت القوات المسلحة تطلق الصواريخ تلقت إرشاداته، وهذه أيضاً من العلامات الفارقة. أعطى الأمل للشعب ولآخر لحظة. ومارس دوره كقائد اعلى للقوات المسلحة عملياً. فأصدر الأوامر من غرفة العمليات وأعطى التوجيهات العامة. وكان يوجههم ويسيطر على الأمور بشكل كامل. وهذه كانت تجربة مهمة جداً للقوات المسلحة. إذ اثبتوا مدى إمكانيتهم وقدرتهم بأنه حتى لو تم إغتيال كل القيادة، فهناك من يستطيع ان يحل مكانهم، ويدير الامور من دون اي خلل. وفي ليلة بدء الهجوم نفسها بدأ إطلاق الصواريخ من الجمهوريه الاسلاميه على «اسرائيل». وبرغم كل المشكلات التي واجهناها في الدفاع الجوي ولكن الصواريخ كانت تطلق، وهذا يكشف عن شجاعه منقطعه النظير.

في ذكرى الشهيد حسن نصر الله (رض)؟

زرت لبنان بعد شهادة السيد حسن. ولا يمر يوم او ليلة ولا اذكر سماحة السيد الشهيد. كان رجلاً عظيماً جداً. وشخصية لا نظيرلها ولن تتكرر. ولذلك هو مبعث فخر لي، عندما آتي الى هنا والتقي اصدقائه. حزب الله هو مبعث فخر، وهو شرف للعالم. وفي المؤتمر الصحفي ايضاً بعد لقاء دولة الرئيس نبيه بري رأيت البعض يخلط بين العدو والصديق. وقلت على الشعب اللبناني والدول العربيه ان يحترما المقاومة، ولا يتعرضا لها. هذه الشخصيات لن تتكرر. ولسنوات طويلة ظهرت لنا شخصية فذة مثل سماحة السيد الشهيد حسن نصرالله. ومع كل الضغوط والصعوبات والهجمات على حزب الله، لكن هناك اطمئنان ١٠٠٪ فعلاً الى واقع ومستقبل حزب الله في لبنان. وأكدت في السفرة الماضية الى بيروت، إن هذه الروحية التي نعرفها ونراها لن تموت. هم أحياء. وكل واحد منهم كألف رجل. ولن يستطعوا انهائهم بهذه السهولة. انا حتى في الزياره الماضيه التي اتيت بها الى هنا اكدت ان هذه الروحيه التي نعلمها ونراها لن تموت.

لاري جونسون

٢٠٢٥/٧/٦

محلل في وكالة المخابرات المركزية

ومستشار سابق في وزارة الخارجية

بعدٍ حرب الـ١٢ يوماً خيارا الكيان: «الشمشونايت» النووي، أو «السامسونايت»

ما هي استراتيجية الطرفين؟

إيران كانت تقوم بما أسميه «الاستهداف الاستراتيجي». لا أعلم إذا كنت قد شهدت قتالاً في حانة. رجلان يغضبان من بعضهما البعض ويبدآن في تبادل اللكمات بعنف وضرب كل شيء. إنهما لا يحاولان ضرب شيء محدد. هذا ليس ما فعلته إيران. كانت إيران تسعى إلى إغلاق الميناء. لأن إسرائيل لديها ميناءان بحريان فقط يعملان لاستقبال سفن الحاويات التي يبلغ طولها ٤٠ قدمًا. وقد نجحوا في القيام بذلك. تعطيل مصفاتي النفط. إسرائيل لديها اثنان فقط. إغلاق المطار الدولي كبداية. ثم معهد وايزمان الذي كان مركزًا بحثيًا كبيرًا للأسلحة النووية وبرامجهم العسكرية الجديدة. ثم مجموعة كاملة من الشركات مثل «إنتل»، و«راون»، وصناعة الأسلحة الإسرائيلية، والصناعات الجوية الإسرائيلية. ثم قواعد عسكرية. إذن، إيران كانت تضرب تلك الأهداف. وهو ما فرضت إسرائيل رقابة شديدة عليها. لذا، فإن لقطات الفيديو الوحيدة التي تم الحصول جاءت من سكان أماكن مثل حيفا وتل أبيب. كذلك من بئر السبع التي تأثرت بشدة بسبب وجود العديد من المرافق البحثية هناك. والأمر الجدير بالملاحظة هو أنه لم يكن هناك الكثير من الضحايا المدنيين. فإيران لم تكن تستهدف مواقع مدنية إسرائيلية. فالاسرائيليون حاولوا تحقيق فوز دعائي بشأن الأضرار التي لحقت بإحدى المستشفيات. لكن اتضح أن إيران ضربت منشأة استخبارات إسرائيلية مجاورة للمستشفى. فالتقط المستشفى موجة الانفجار والارتجاج وتحطم الزجاج. فأدى إلى إصابة بعض الأشخاص، لكنه لم يقتل أحداً. وبالتأكيد لم يكن الأمر مثل الصور التي رأيناها قادمة من غزة. حيث تستهدف إسرائيل المستشفيات بشكل مباشر ومتعمد.

اننا عندما نتراجع خطوة إلى الوراء وندرك مساحة الكيان مقارنة بايران. فهي أكبر من حجم إسرائيل بـ ٩١ مرة. لذلك عندما تقوم إيران بقصف مطار دولي في «إسرائيل»، فلن يكون لديهم أي طريقة أخرى للخروج من البلاد جواً سوى الذهاب إلى مطار عسكري. في حين أن إيران لديها اكثر من ٢٩ مطارًا دوليًا. نعم، يمكن لإسرائيل أن تغلق اثنين منهم. فيبقى لدى ايران ٢٧ مطاراً. يعني هذا التفاوت في الحجم أن «إسرائيل» كانت أكثر عرضة لهذه الهجمات الصاروخية وأنها باهظة الثمن. والعنصر الآخر هنا كان تكلفة انظمة وصواريخ الدفاع الجوي. فـ«السهم ٢» و«السهم ٣» تكلف الواحدة منها بين ٢,٥-٣,٥ مليون دولار. فلنقل كمتوسط ٣ مليون دولار للقطعة الواحدة. وعادةً يتم إطلاق صاروخين على الأقل. واحياناً يتم اطلاق ١٠ صواريخ، اي تستنزف ٣٠ مليون دولاراً. بينما كلفة الصواريخ الباليستية الايرانية وصواريخ كروز والطائرات المسيرة اقل بكثير (اقل من مليون دولار وحوالي ٦٠٠ الف دولار لصواريخ كروز و٢٠ الف دولار للطائرات المسيرة). وبالطبع فان الصواريخ الأمريكية أكثر تكلفة. فنظام «ثاد»، للدفاع الجوي عالي الارتفاع، فيصل سعره إلى ١٢,٩ مليون دولار. واضافة لمشكلة الكلفة هناك مشكلة الانتاج وقابلية الاستجابة للطلبات. وفي الواقع، تشير التقارير إلى أن إسرائيل ستنتج ٥٠ صاروخا فقط من تلك الصواريخ سنوياً. لذا إذا أطلقت إيران ٥٠ صاروخًا باليستيًا، فهذا يعني أن إسرائيل سوف تستخدم الخمسين صاروخًا كلها. لذا كان هذا هو نوع الديناميكيات التي كانت تتحكم في هذه الحرب، والتي لا أعتقد أن الكثير من الناس فهموها.

ما هي فترة تعافي الطرفين؟

هنـاك سـيطرة صارمة علـى الاخبار. ففي «اسـرائيل» سـيقولون تعالوا الى «اسـرائيل» فانها آمنة، لـو كان الامر على مـا يرام ورائعـاً. لكنهم لا يفعلون ذلك. إذ تواجه إسـرائيل تحديًا أكبر في تجديـد نظام الدفاع الجـوي الخاص بها ممـا تواجهـه إيران. للسـبب البسـيط، سـواء كنا نتحدث عن القبـة الحديدية، او صواريخ باتريوت، او ثاد، او السهم ٢ او السـهم ٣. فإمـدادات جميـع هـذه الانظمة محدودة للغاية .

كان هناك الكثير من تلك المخزونات التي تم استخدامها في أوكرانيا على مدى السنوات الثلاث الماضية. إذن، وبعد ذلـك، فيما يتعلق بمسـتوى الإنتاج، فإذا أخـذت صاروخ باتريوت علـى سـبيل المثـال. فان شـركة «لوكهيد مارتـن» تنتج ٥٥٠ صاروخًا من هذا النوع سـنويًا. إذن مرة أخرى، عندمـا يكون لديـك، ١٦ صاروخاً في المنصة. ويطلقون ثلاثة لكل صاروخ قادم. فان ذلك سيستهلكها جميعهاً بسـرعة. والأمر أنهم لا يستطيعون الطلب من الشـركة المصنعة توفير الكميات المطلوبة بسهولة. فالامر لا يحـدث بهـذه الطريقـة. فانتاج الصناعات الدفاعية تغيرت بطريقة لا تمثل تحسـناً. ففي الوقت الحالي، لبناء طائـرة إف-٣٥ ، وهي مقاتلة من الجيل الخامس، يسـتغرق الأمر في الخـط الواحد ما بـين ١٨ إلى ٢٤ شـهرًا. أي سـنة ونصف إلى سنتين لإنتاج طائرة واحدة فقط. خلال الحرب العالميـة الثانيـة في عـام ١٩٤٣، بدأت الولايات المتحدة في بناء قاذفة القنابل Liberator B٢٤، وكان بإمكانهم تجميعهـا في ٦٣ دقيقة. وكانـوا يجعلـون الطائـرة جاهـزة للطيران في ١٨ سـاعة. لقـد انتقلنا مـن إنتاج قاذفـة قنابـل كانت من أحدث التقنيـات في ذلك الجيل، وفي ١٨ سـاعة، إلى واحدة الآن تسـتغرق من ١٨ إلى ٢٤ شـهرًا. لقد قمنا برفع مسـتوى التطور التقنـي على الأقل إلى الحـد الـذي جعلهـم يواجهـون صعوبة في القيـام بالإنتاج الضخم. وعلى النقيض من ذلك، فإن روسـيا لا تفعـل ذلـك. وأعتقـد أن إيران في وضع مماثـل. إنهم لا يقومون ببناء تقنيات، تسـتغرق الكثير من الوقت لتجميعهـا. في الواقـع، يمكنهـم الحصول علـى بعض الحجـم الكبير بسرعة كبيرة. لذا، فيما يتعلق بفترة التعافي لأنظمة الدفاع الجوي، أعتقد أن إيران في وضع أفضل من إسرائيل.

ما هو اثـر الكثافة العالية والمنخفضة في الحروب؟

إن الأسـلحة التي تذهب إلى أوكرانيا، هي مثلاً، دبابات «برادلي»، ومركبات مدرعة، وقذائـف مدفعية، الخ. وهذا يجعل «إسرائيل» وأوكرانيا بمنافسة حقيقيـة على صواريـخ «باتريوت»، وأنظمـة الدفاع الجـوي. في حين أن الأسـلحة التـي ترسـلها الولايات المتحـدة إلى «إسـرائيل» هي قنابل يتم إسـقاطها من الطائـرات. لذا، نحن لا نرسـل أيًا مـن تلك الطائرات إلى أوكرانيا لأنها تتعرض باسـتمرار للإسقاط. وكما نعلم، ليس لدينا في الواقع عدد كبير مـن الطائرات التي يمكن إرسـالها إلى الجـو. في حين أن حرب «إسـرائيل» ليست على الأرض. إنهم لا يفعلـون ذلك. فهم يتكبدون خسائر في غزة.

امـا مـع إيـران فالحـرب فـي المقـام الاول جويـة. فهي تتعامـل بالصواريخ والطائـرات. فهـذا –اذن- هـو المكان لتقييـم الاسـتراتيجيات المختلفـة التي تواجه «اسـرائيل» في مواجهة ايران. فإسـرائيل لم تتردد في غـزو جيرانها، وبشكل خاص لبنان وسـوريا. بالمقابل فان الجمهورية الاسـلامية منذ نشـأتها لم تشـن ايـة عملية عسـكرية هجومية ضـد أي مـن جيرانهـا. لقـد دعمـوا «الحوثييـن» فـي الحرب مـع المملكة العربيـة السـعودية. لكن إيران ليسـت مهيأة ومنظمـة مثل الولايـات المتحدة لإرسال قوات عسكرية استكشافية حول العالـم. ومن هـذا المنطلق، فـإن إعادة التسـليح والتجهيز يشـكل تحديًـا أكبر بالنسبة لإسـرائيل. فهي بحاجة مستمرة للقنابـل من الولايات المتحـدة لمهاجمة ايران جـواً. واوكرانيا وهـذه الحروب تسـتنزف الولايات المتحـدة مالياً ومن حيث المخزونات.

هناك تعبـير يقـول: «وضـع أحمر الشفاه على الخنزير». وهذا ما يفعله «دونالـد ترامـب». فهـو تكلم عند العملية التي بدأتها «اسـرائيل» في ١٣ يونيو/حزيران ضد ايران عن عملية قطع الرأس وتغيير النظام. لقد تم التخطيـط لذلك لسـنوات عديدة. فلم تكن العمليـة مجرد خطة جديدة توصل إليها «دونالد ترامب». بل تم إطلاعه على الأمر. وقدّم ضمانات بأن «إسرائيل»، سوف تذهب وتقتل اعلى القيادات والمستويات. وان النظام سـينهار خلال ٢٤ـ٣٦ سـاعة. وانه يتهيء لتنصيب حكومة جديدة. واذا عدنا ونظرنا الى تاريخ وكيفية تطوير فيروسـ Stakingset، فهنـاك فيلم وثائقـي ممتاز بعنوان Zero Days، والذي يشير إلى نفس النوع من التأكيدات والفعاليات. ان نضرب «اجهزة الطرد المركزي» الايرانية بقوة هائلـة. وهذا سـوف يهزها وسـوف يدمـر البرنامـج النـووي الإيراني. وهذا سـيحيد ايران لسنوات عديدة. لكـن ايران عادت بعد ٤ـ٦ اسـابيع لبرنامجها النـووي. فهم تمكنوا من «ترامـب»، وباعوه مشـروعا مفاده ان الأمر سـيكون انتصارا عسـكريا مذهلا. واذكركم ان ترامب في البداية ادعى بانـه يعلم بكل شـيء. وانه يعرف التاريخ والوقـت ومطلع على كل شـيء. لكن ايـران ردت، ونهضت من جديد، بعـد ان تعرضت لضربات قوية دون ان تتمكن من طرحها ارضا. وأطلقـوا هجماتهـم الصاروخيـة الخاصة بهـم خلال ١٢ سـاعة. إذن، فجـأة، بدأ «ترامب» يقـول، انتظروا ثانيـة. فالحقائق بـدأت بالظهور. فنظـام الدفاع الاسـرائيلي لا يوقف ايران. ففي اليوم الثامن، او التاسع، أدركوا أن «إسرائيل» كانت في ورطة.

فعندما تأتي صحيفة «وول سـتريت جورنال» المعروفـة بدعمها المطلق «لاسـرائيل» وتقر بـأن «اسـرائيل حصلـت فقط علـى اسـبوعين من صواريـخ الدفـاع الجـوي وتخرج من المعركـة». لذلـك لم توقـف ايران القتال لان الولايات المتحدة قصفتها، كما قال ترامـب. فهذا غير صحيح. اذ قالت ايران «سنضرب قاعدتكم بقوة، اخرجـوا كل رجالكم من هناك». كانت ضربة رمزية/تحذيرية. وإلا سـنذهب لإلحاق الضرر بك ونجعلك تندم على قيامك بهـذا. لذلك قـال «ترامب» انه أنقذ «إسـرائيل». تماما كما تم مع «الحوثيين» وقـال ان «الحوثيين» استسـلموا، بينمـا الحقيقـة ان «ترامب» تراجع وسـحب قواته. وهذا لا اسم اخر له سـوى انه الخسارة في الحرب.

والنتيجـة انـه كان هناك تصور سـابق بأن الولايات المتحدة هي هذه المؤسسة العسـكرية القويـة جـدًا. حيـث تظهر حاملات طائراتهـم وطائراتهم. التي لا يمكـن إيقافها. لكن «الحوثـي» أوقفها. والنـاس بـدأت بالتفكيـر ان الولايـات المتحدة لم تتمكن من القضاء على طالبان بعـد (٢٠) عاماً. ولم يكـن لدى طالبان دبابات أو مدفعية أو ناقلات جند مدرعة أو طائرات مقاتلـة ذات أجنحة ثابتة أو طائـرات دوارة أو دوائر اسـتخباراتية علويـة. بـل كان لـدى طالبان أسـلحة جانبيـة وبنادق وبعـض قذائف الهاون. وقاتلوا الولايـات المتحدة حتى وصلوا إلى طريق مسدود. والآن «الحوثيون» يوقفونهـا. لهذا بعد هـذه الحرب تختفي سـردية الجيـش الاسـرائيلي الـذي لا يقهر، وان دفاعهم الجوي منيع. واعتقد انهـم ينظـرون الى وضـع متغير على الاقل من الناحية الإدراكية في الشـرق الاوسط.

كيف يمكن تسمية الخسارة نصراً؟

كان «لإسرائيل» بعض القيود، كما فعلت الولايات المتحدة في محطة «بوشهر»، لأنه في بوشر كان ٢٠٠ روسي يعملون هناك. وقد جلبت روسيا أنظمة دفاع جوي من طراز S٤٠٠ وS٣٠٠ إلى هناك، وحذرت إسرائيل والولايات المتحدة من عدم التفكير بالقصف. وقصفت المنشآت الاخرى. وعلى الرغم من إصرار «ترامب» على أن المنشآت دُمرت، الا ان المعلومات تشير الى ان اليورانيوم المخصب قد تم نقله. والمجمع الاستخباري الامريكي هو الذي ابلغ عن هذه الحقيقة. وللعلم فان وضع اثنتين من قنابل GBU ٥٧، التي تزن الواحدة ٣٠ الف رطل على قاذفة القنابل ٢ هو فوق قدرة الطائرة، مما تطلب اعادة تصميم الطائرة لتحمل قنبلتين مع خزان وقود يكفي للطيران لمدة ١٠ دقائق فقط. تسمح بالاقلاع عن الأرض والصعود في الهواء ثم اعادة التزود بالوقود في الجو. وكما نعلم قاموا ١٢ قنبلة على منشأة «فوردو». والمشكلة هي أن الأمر لا يقتصر فقط على الخرسانة المسلحة الموجودة هناك. فهي من «الجرانيت». ويؤكد المهندسون «أن اختراق (الجرانيت) اكثر صعوبة بكثير من الخرسانة المسلحة» خصوصاً مع عمق المؤسسات. والاحتمال انهم دمروا فعلاً المنشأة، لكن في بناها الفوقية والسطحية. لقد اغلقت ايران مطار طهران. لكن لدى ايران ٢٨ مطاراً آخر. فالضرر الحقيقي كان الهجوم على المدنيين، وقتل بعض العلماء والمسؤولين العسكريين، وقتل عائلاتهم أيضاً.

هذا أصبح واضحًا مع أعداد الضحايا أيضًا. إذن إلى أين يتجه الأمر؟ بعد ان اعلن «ترامب» النصر والفوز بانه دمر المنشآت النووية. لكنه اصبح واضحاً الان اكثر فاكثر ان هذا لم يكن انتصاراً. اذ يصرح مدير الطاقة الذرية انه يريد أن يعرف مكان اليورانيوم المخصب في ايران. لهذا ينظر المزيد من الناس الى ان المعركة توقفت بانتصار ايراني وخسارة لاسرائيل. وان ذلك سيعتمد على مدى السرعة في استعادة القدرات. لهذا يعتقد العقيد الامريكي «ماكغريغور» الذي بدا مقتنعاً جداً بأن هذه ستكون حرباً طويلة، وان هذه كانت المرحلة الافتتاحية.

وأنا لا أعتقد أن هذا قد انتهى على الإطلاق. فإذا كنت إيرانيًا، فسأقوم بإعادة التحميل بأسرع ما يمكن استعدادًا للجولة التالية. أعتقد أن هناك احتمالا قويا لوقوع هجوم تحت ادعاءات كاذبة في الولايات المتحدة. كحوادث ارهابية يمكن إلقاء اللوم فيها على إيران. وأن ايران هي الراعي الأول للإرهاب في العالم. وبالتالي ترتفع الأصوات بان ايران ستهاجم الولايات المتحدة. وهذا يخالف تماما التاريخ الحقيقي. فإيران لم تنفذ هجمات إرهابية هجومية ضدنا. لقد وصل بهم الأمر إلى حد إلقاء اللوم على إيران في تفجير ثكنات مشاة البحرية في لبنان في عام ١٩٨٣ وكذلك السفارة الأميركية. أما ما ينسى الأميركيون تذكره هو أننا بدأنا بإطلاق القذائف الضخمة من سفننا الحربية، وكنا نقتل النساء والأطفال الشيعة. لذا، كما تعلمون، كان هناك دائمًا هذا التاريخ. لذا، لم تكن إيران هي التي هاجمتنا في أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولكن الرواية التي يتم بناؤها هي أن إيران هي التي تهاجمنا. ويتكلمون عن الخلايا الإيرانية النائمة هنا في البلاد. وهم سوف ينطلقون إلى العمل، وسوف يهاجمون، ومن ثم سيتم استخدام ذلك كمبرر لمحاولة مهاجمة إيران مرة أخرى.

ولكن مرة أخرى، هذا هو المكان الذي تصطدم فيه الولايات المتحدة بحدود قوتها. كما اكتشف «ترامب» عندما واجه الحوثيين. ففي فترة سبعة أسابيع، أسقط الحوثيون سبع طائرات بدون طيار من طراز Reaper MQ٩. وللعلم، فإن كل واحدة منها تكلف ٣٥ مليونًا للقطعة الواحدة. لذا في غضون سبعة أسابيع، تم إسقاط ما يقرب من ربع مليار دولار من السماء على يد الحوثيين. ثم خسرنا ثلاث طائرات من طراز Hornets FA١٨. وهذه سعر الواحدة (٧٠) أو (٨٠) مليونًا للطائرة الواحدة. فالنفقات تتراكم دون الحصول على العائد الذي يمكن أن نحصل عليه من قول «ترامب»: «نعم، كما تعلمون، لقد هزمناهم». ولا أعلم إن كان ذلك سيكون في الأسبوع المقبل أو الذي يليه، لكن من المؤكد أن المنشآت النووية الإيرانية لم تُدمر. وسيتعين على «ترامب» أن يفعل واحدة من كلاسيكياته كما فعل عندما قال: «سأنهي هذه الحرب في ٢٤ ساعة». وبعد ذلك عندما سألوه عن ذلك، قال: كنت أمزح فقط. لقد كانت تلك مزحة. وواضح الان انه لا يمكنه القول أنني كنت مخطئًا. واتمنى من أحد الايرانيين أنه عندما تتحدث الولايات المتحدة وتقول «نريد أن نعرف أين اليورانيوم المخصب»، سيقول لهم «لقد محيتم ذلك ودمرتم كل شيء، فمن نحن لنجادل الرئيس «ترامب»؟. فما حدث بالفعل، هو أن الولايات المتحدة أصبحت الآن عمياء فيما يتصل بالبرنامج النووي الإيراني، سواء كان سلميا أو غير ذلك.

لأنه في السابق كان هناك اتفاق مفتوح لتبادل المعلومات من الوكالة الدولية للطاقة الذرية بشكل رسمي. وأنني اؤكد أن الولايات المتحدة وإسرائيل وفرنسا وجهاز المخابرات البريطاني MI٦ اخترقت الوكالة الدولية للطاقة الذرية. واستخدمتها لجمع المعلومات الاستخباراتية. ارجعوا وانظروا إلى الوقت الذي بدأت فيه إيران بالسماح للوكالة الدولية للطاقة الذرية بعمليات التفتيش. كان ذلك حوالي عام ٢٠٠٣. وهو الوقت تقريبًا عندما توصلت وكالة المخابرات المركزية لأول مرة إلى تقدير أن إيران لا تعمل على امتلاك سلاح نووي. فاجهزتنا كانت تحصل على معلومات في جزء منها يأتي من الوكالة الدولية. ولهذا السبب كان لديهم درجة عالية من الثقة. الآن لم يعد لديهم هذا المصدر للمعلومة. فاليورانيوم المخصب تم تخزينه في مكان ما. ومع هذا النوع من عدم اليقين، فإن ذلك قد يؤدي أيضًا إلى مزيد من التهور من جانب الولايات المتحدة. لكنني اعتقد أن إيران بعد ان تعرضت للعدوان ستواصل اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع ذلك.

مدى وقف اطلاق النار؟ وما هو خيار «اسرائيل» بين «شمشون» و«السامسونايت»؟

قلت أولاً أنني لا أعتقد أن إيران كانت في الواقع تنظر بجدية بإغلاق مضيق هرمز. لأنه عندما ننظر إلى الأمر، فإن ٨٠٪ من النفط الخارج من الخليج يذهب إلى آسيا والهند والصين. ويمثلون فيما بينهم حوالي ٣٥٪ منه. ثم يذهب الباقي إلى فيتنام وإندونيسيا وماليزيا. لذلك لم أر إيران تتخذ أي خطوات لتعطيل تلك الحركة لأن هؤلاء هم أصدقاؤها. إنهم لن يؤذوا الدول التي تقف بالفعل إلى جانب إيران في هذه المعركة ضد إسرائيل. من الممكن أنهم قاموا بعملية انتقائية مثل ما يقوم به الحوثيون في البحر الأحمر حيث يتم استهداف السفن المتجهة إلى أوروبا أو إسرائيل أو الولايات المتحدة. وهذا التصرف وحده يقول، «حسنًا، سوف نبدأ في استهداف هذا الأمر، والذي من شأنه أن يرفع أسعار التأمين إلى مستويات عالية، وهذا من شأنه أن يؤدي فعليًا إلى إغلاق المضائق.» لذا أعتقد أن هذا كان الخندق الأخير.

وان تعبير وقف اطلاق النار لم تستخدمه ايران، بل استخدمته «اسرائيل». إيران قالت منذ البداية: «توقفوا عن مهاجمتنا. ولن نهاجمكم بالمقابل». وفهمي لذلك ينطلق مما ذكره لي صديق امريكي تحول الى الاسلام. وكتب مقالاً عميقاً للغاية واصفاً هذا النوع من النظرة اللاهوتية الإسلامية بأنهم لن يقوموا بهجمات استباقية على سبيل المثال. واذا توقف العدو عن القتال، فسيتوقفون عن القتال ولن يواصلوا للقضاء على عدوهم. أعتقد أن هذا العنصر كان موجوداً في تفكير إيران. فإذا عدت لمهاجمتنا، فسوف نرد. وسوف نرد بقوة أكبر. إنهم في الحقيقة لم يبدأوا في استخدام صواريخهم الكبيرة إلا في الضربتين الأخيرتين. ولم يستخدموا سوى عدد قليل منها. لذا، فإنهم ما زالوا يمتلكون قدرات كبيرة. وأنا أزعم أنهم ما زالوا يحتفظون بقدرات كبيرة. لأنهم أولاً، ينتجون الصواريخ تحت الأرض ويخزنونها تحت الارض. إنهم ليسوا، كما تعلمون، يبنون مصانعهم في الهواء الطلق، ويمكن للولايات المتحدة أن تحلق فوقه، وتلتقط صورًا بالأقمار الصناعية. فما لم يكن لدينا جاسوس، أو إنسان يمكنه الدخول إلى هناك والعد والقول، «نعم، لقد فعلوا ذلك أو من هو المسؤول عن حفظ المخزون؟». نحن ببساطة لا نعلم. نحن فقط نخمن. لذا، من هذا المنطلق، فإن إيران قد تحركت للتخلص من الوكالة الدولية للطاقة الذرية. ولن يُسمح به بعد الآن في البلاد، على الأقل طالما ظل «رافائيل غروسبي» مسؤولاً عنها. لن يكون لهم أي علاقة بهم. إنهم يتناقشون حول ما إذا كان ينبغي عليهم الانسحاب من معاهدة منع الانتشار النووي أم لا. إذا فعلوا ذلك، فسأعتبر ذلك إشارة إلى أنهم يعتزمون بناء سلاح نووي. ولكنهم ما زالوا غير مستعدين للتعاون مع الغرب كما فعلوا لأنهم تعرضوا للعدوان. لقد تعرضوا للخيانة. لقد تلقوا لكمة مفاجئة. وأعتقد أن الإيرانيين تعلموا درسهم.

قال احدهم أن الاسرائيليين يخيرون انفسهم بين «شمشون» و«سامسونايت». هل سيستخدمون خيار «شمشون» بسبب عزلتهم وخسائرهم فيستخدمون سلاحهم النووي؟ ام سيحزمون حقائب «السامسونايت» الخاصة بهم لتوضيب امتعتهم والمغادرة؟

«فاسرائيل» تكبدت خسائر فادحة لمدة ٢١ شهرًا في صناعة السياحة. التي كانت تشكل جزءًا كبيرًا من اقتصادها. لكن الآن، بعض المصانع، كما تعلمون، الأماكن التي تنتج بالفعل سلعًا لإسرائيل، بما في ذلك صناعة الأسلحة، تعرضت لضربات إيرانية وألحقت بها أضرارًا. ويقينا لن نحصل على تقييم الأضرار الحقيقية. كل ما استطيع تأكيده هو ما قاله مذيعو الأخبار في القناة الإسرائيلية ١٣، وهو: «نعم، الحكومة تغطي ما حدث، لقد تعرضنا لضربة شديدة، والحكومة تغطي الأمر». لذا، أعتقد أن اقتصاد إسرائيل ربما يواجه الآن مشكلة أكبر من أي وقت مضى.

د زياد الحافظ

تموز ٢٠٢٥

تلخيص بتصرف

الانهيارات الامريكية العميقة وانعكاساتها على النظام العالمي

مقدمة تحليلية: من تفكك الداخل الأميركي إلى اهتزاز النظام العالم

منذ بداية القرن الحادي والعشرين، ومع تصاعد الأزمات الداخلية الأميركية كأزمة ٢٠٠٨ الاقتصادية، ثم الانقسامات السياسية والثقافية التي فجرتها إدارة ترامب، أصبح من الواضح أن الولايات المتحدة تواجه أزمة بنيوية في مشروعها الداخلي والخارجي على حد سواء. جاءت حرب أوكرانيا، والتوتر مع الصين، ثم "طوفان الأقصى" ليكمّل مشهد التحول الاستراتيجي الأميركي. الدكتور زياد الحافظ ينطلق من هذه الفرضية الأساسية ليبني رؤيته التي تربط بين التراجع الأميركي في مركز النظام العالمي، والانكشاف الكامل للكيان الصهيوني كعبء استراتيجي لم يعد من الممكن تبريره. الفكرة المحورية "للحافظ" تتجلى في أن التراجع الأميركي لم يكن مجرد خيار، بل نتيجة حتمية لانفجار التناقضات الداخلية: تفكك اجتماعي، استقطاب حزبي، عنصرية بنيوية، وتراجع الثقة في المؤسسات. وفي هذا السياق، لم تعد أميركا تملك الأدوات لفرض النظام، بل أصبحت غارقة في محاولة ضبط الفوضى.

تستدعي هذه التحولات أيضًا العودة إلى دور المؤسسات الأميركية في رسم السياسات الخارجية. حيث أن التغير في المواقف تجاه الشرق الأوسط لم يأتِ من فراغ، بل جاء نتيجة احتدام الصراع الداخلي بين مراكز القوى السياسية والمالية في واشنطن. وظهور توازنات جديدة بين الكونغرس، والبيت الأبيض، والبنتاغون. لقد أصبحت قدرة اللوبيات التقليدية مثل AIPAC على التأثير المطلق محدودة. وهو ما انعكس في النقاشات العامة حول التمويل العسكري لإسرائيل. وفي التغطية الإعلامية التي لم تعد موحدة كما في السابق. لقد بات الإعلام الأميركي يشهد تباينات صارخة بين المنصات الكبرى ووسائل الإعلام البديلة التي تكشف جرائم الحرب في غزة وتنقل صور الضحايا من دون رقابة. هذا التحول في المشهد الإعلامي يلعب دورًا كبيرًا في إعادة تشكيل الوعي العام. وبالتالي إعادة صياغة السياسة الرسمية. وما يجب الالتفات إليه هو أن هذا التغير لا يقتصر على بُعد إنساني أو أخلاقي. ، بل هو تحوّل جيوسياسي تمليه مصالح جديدة للولايات المتحدة، في عالم متعدد الأقطاب يتشكل بسرعة. ويستدعي من واشنطن التحرك بحذر لتفادي الاصطدام الشامل مع قوى مثل الصين وروسيا وإيران. خاصة بعد فشل سياسة الاحتواء والعقوبات التي اتبعتها إدارة بايدن. هذا السياق المركب يجعل من الخطاب الذي يقدمه "زياد الحافظ" أداة تحليلية نافذة لفهم التصدعات في بنية النظام العالمي، وما سيؤول إليه من تحولات في العقد القادم.

تحولات علاقة واشنطن – تل أبيب: من الرعاية إلى التباعد الاستراتيجي

لطالما كانت العلاقة الأميركية الإسرائيلية حجر الزاوية في سياسات الشرق الأوسط. غير أن تحليل "الحافظ" يبرز تغيرًا نوعيًا في هذه العلاقة. لم تعد واشنطن قادرة على حماية الكيان كالسابق، لا سياسياً ولا عسكرياً. وقد ظهر ذلك جليًا في رفض البيت الأبيض لأي تصعيد عسكري جديد ضد إيران رغم ضغوط نتنياهو. وفي إقالة مستشار الأمن القومي الأميركي على خلفية تواصله المكثف مع القيادة الإسرائيلية. هذا يدل على أن واشنطن لم تعد ترى في الكيان شريكًا موثوقًا في إدارة الصراعات، بل عبئًا قد يفجّر المنطقة. وتدل المؤشرات أيضًا على تغيّر في الموقف الشعبي الأميركي، خاصة في أوساط الشباب والمثقفين، تجاه الجرائم المرتكبة في غزة. ما جعل الإدارة الأميركية في حرج أمام الرأي العام. وقد بدأت هذه التغيرات تؤثر حتى في أروقة الكونغرس، حيث فشلت مشاريع قانونية لتجريم إنتقاد "إسرائيل" على الإنترنت، في سابقة لم تشهدها السياسة الأميركية منذ عقود.

تصدع السردية الصهيونية داخل الولايات المتحدة

إن السيطرة على السردية كانت أهم أدوات المشروع الصهيوني في أميركا. لكن اليوم، بحسب "الحافظ"، نشهد انهياراً غير مسبوق لهذه الهيمنة الإعلامية. السردية التي كانت تعتبر أي انتقاد لـ"إسرائيل" معاداة للسامية، بدأت تتآكل في مواجهة الحقائق المصورة من غزة، ومع تطور أدوات الإعلام البديل ومنصات التواصل. الجيل الجديد من الأميركيين "جيل Z" لم يعد يتقبل الرواية الرسمية. وقد ظهر ذلك في التظاهرات، اعتصامات الجامعات، وانتشار الخطاب المعادي للصهيونية في المنصات الرقمية. إن قول "كولمان" لقد فقدنا السيطرة على السردية "هو تعبير عن لحظة انهيار أيديولوجي تمس جوهر الدعم اللامشروط لـ"إسرائيل". وهذا التغير لا يتوقف عند النخبة، بل بدأ يظهر في استطلاعات الرأي، حيث تتراجع نسب التأييد "لإسرائيل" سنويًا بين الشباب الأميركي، لصالح دعم أو على الأقل تفهم للموقف الفلسطيني.

عودة الدولة التنفيذية وصعود ترامب مجددًا

يرى "الحافظ" أن صعود ترامب لم يكن مجرد ظاهرة يمينية، بل بداية انقلاب على آليات صنع القرار الأميركي التقليدي. الدولة العميقة – كما تسمى – التي كانت تحكم من خلف الكواليس، وجدت نفسها في مواجهة إدارة تسعى للهيمنة الكاملة على السياسة الخارجية دون الخضوع للبيروقراطيات الأمنية والمخابراتية التي كانت تدير الإمبراطورية الأميركية. وقد انعكس هذا في ملفات كبرى: الانسحاب من الاتفاق النووي، التفاوض المباشر مع كوريا الشمالية، الانقلاب على الناتو، وأخيراً مراجعة العلاقة مع إسرائيل. رغم أن فريق ترامب يضم صهاينة متشددين، فإنهم – كما يقول الحافظ – موالون له لا للكيان. وهو ما يفتح الباب أمام قرارات غير تقليدية، من بينها تسوية مع إيران، والتراجع عن خوض مغامرات عسكرية من أجل إسرائيل، بل ربما اعتبار تل أبيب عبئاً على واشنطن لا رصيدًا استراتيجيًا.

التراجع العسكري والسياسي الأميركي: من اليمن إلى البحر الأحمر

في قراءة الدكتور "زياد الحافظ" للتوازنات الاستراتيجية بعد طوفان الأقصى، يشير بوضوح إلى أن التراجع الأميركي ليس فقط نتيجة فشل في إدارة التحالفات، بل هو انكشاف شامل لقدراتها العسكرية والسياسية. فشل البحرية الأميركية في فرض سيطرتها على البحر الأحمر أمام هجمات الحوثيين، وعجزها عن تأمين الملاحة في أحد أهم الممرات التجارية في العالم، يعكس حدود ما تبقى من القوة الأميركية التقليدية. هذا التراجع ليس لحظيًا، بل هو نتيجة مسار ممتد منذ حروب أفغانستان والعراق، مرورًا بسوريا، وصولًا إلى انسحابها المهين من كابول في ٢٠٢١. لم تعد الولايات المتحدة قادرة على فرض الإيقاع، بل أصبحت لاعبًا مضطربًا في نظام عالمي يتشكل خارج إرادتها. ويؤكد "الحافظ" أن هذا التراجع ينعكس بوضوح على العلاقة مع إيران، حيث تجري مفاوضات سرية دون الرجوع لإسرائيل، وعلى العلاقة مع روسيا، حيث باتت واشنطن عاجزة عن إنتاج حل نهائي في أوكرانيا، حتى بعد مئات المليارات من الدعم والتسليح.

نظرية صراع الحضارات من جديد: قراءة نيلز جيلمان وهنتينغتون

في لحظة تاريخية فاصلة، تعود للواجهة نظرية "صموئيل هنتينغتون" حول صراع الحضارات، والتي هوجمت لعقود باعتبارها نبوءة مظلمة. لكن "نيلز جيلمان"، في مقاله المنشور في Foreign Policy، يعيد قراءة اللحظة الدولية عبر عدسة هذه النظرية. مؤكدًا أن ما نشهده اليوم هو نهاية فعليّة للنظام الليبرالي الدولي، وصعود لمنطق "الحضارات السياسية". لا الدول ولا المنظمات الدولية تحكم المشهد، بل القوى الحضارية الكبرى: الصين، روسيا، الهند، أميركا، العالم الإسلامي. هذه القوى لم تعد تتنازع وفق قواعد المؤسسات الدولية، بل وفق مفاهيم السيادة الحضارية، المجال الحيوي، والتفوق القيمي. ويرى "جيلمان" أن تحلل أربعة أسس رئيسية: (احترام الحدود، سيادة الدول، العولمة الاقتصادية، والمؤسسات الدولية) يفتح الباب أمام نظام عالمي جديد لا يشبه ما عرفناه بعد الحرب الباردة. وهو بهذا يلتقي في العديد من النقاط مع رؤية الدكتور "زياد الحافظ" الذي يرى أن أميركا لم تعد تؤمن بالنظام الليبرالي الذي كانت ترعاه، بل باتت تبحث عن مخرج من قيوده التي أصبحت عبئًا عليها.

تقاطع الرؤى: عندما يتلاقى الحافظ وهنتينغتون

من اللافت أن التحليل الواقعي الذي يقدمه "زياد الحافظ" يتقاطع بعمق مع التنظير الحضاري لـ"صموئيل هنتينغتون". "الحافظ" لا ينطلق من نظرية ثقافية، بل من وقائع سياسية واقتصادية واستراتيجية، لكنه يصل إلى نتيجة مماثلة: النظام العالمي يتفكك، وتنهض القوى الحضارية كبدائل. إن أزمة الولايات المتحدة مع حلفائها التقليديين، ومع أدواتها في الشرق الأوسط، ليست فقط أزمة تحالفات، بل أزمة في الشرعية. و"اسرائيل" التي كانت الحليف الثابت، أصبحت عبئًا على المصالح الأميركية. ولذلك فإن المرحلة القادمة ستشهد، كما يتوقع "الحافظ"، تحولاً تدريجياً في تموضع واشنطن، وعودة لمبدأ الواقعية السياسية، ولو على حساب الحلفاء التاريخيين.

المشرق العربي يعيد التموضع: من التبعية إلى التوازن

يشير "الحافظ" إلى أن العالم العربي، وخاصة دول الخليج، بدأ في مراجعة حساباته الاستراتيجية. فلم يعد الخطاب الأميركي مقنعًا كما كان، ولم تعد واشنطن قادرة على فرض قراراتها كما في السابق. التقارب الخليجي مع الصين وروسيا، وتراجع المشاركة في التحالفات العدائية ضد اليمن، كلها مؤشرات على فقدان أميركا لجزء كبير من نفوذها في المنطقة. حتى مشاريع كالممر الهندي – الخليجي – المتوسطي، التي روّجت لها إدارة بايدن كبديل لطريق الحرير، تبدو اليوم غير قابلة للتحقق بسبب عدم سيطرة واشنطن على الجغرافيا أو السياسة. كما يشير "الحافظ" إلى أن العالم العربي يشهد تحولات بطيئة ولكن جذرية في قراءة التهديدات، وفي إدراك طبيعة الصراع مع الكيان الصهيوني، ما يجعل من التطبيع مشروعًا مكلفًا سياسيًا وأخلاقيًا لا يمكن الدفاع عنه في المستقبل المنظور.

الخاتمة: عالم يتشكل من رماد الليبرالية

ما نعيشه اليوم ليس فقط انهيار مشروع "إسرائيل الكبرى" أو إخفاق في الحرب على غزة، بل هو نهاية فعليّة لنموذج الهيمنة الأميركية، وتفكك للأطر التي قامت عليها العولمة والنظام الليبرالي العالمي. من المؤسسات الدولية، إلى الخطاب الحقوقي، إلى قواعد التجارة الحرة، كلها تتعرض للانهيار تحت وطأة صراعات الهويات. إن اللحظة التاريخية التي وصفها "الحافظ" بدقة تتلاقى مع تلك التنبؤات التشاؤمية التي أطلقها "هنتينغتون" قبل ثلاثين عامًا. والسؤال الذي يطرحه الزمن الحاضر علينا هو: هل نعيش لحظة انتقال حضاري، أم أننا على أعتاب فوضى كبرى؟ وما هو دور الشعوب المستضعفة في هذا النظام الجديد؟ هل تتيح التحولات القائمة فرصة لإعادة التوازن لصالح العدالة والحق، أم أنها مجرد إعادة توزيع للهيمنة؟

السيد عادل عبد المهدي

٢٠٢٥/٨/١٦

قيمومة المقاومة وشرعيتها، بشرطها وشروطها

كيف نفكك الملفات ونقدم صورة واضحة عن مشروعية المقاومة وطبيعة المعارك الجارية وموازين القوى. وحسب تصورنا لا يمكن تحقيق ذلك ما لم نضع الامور كلها في نصاباتها. فهناك امور اساسية ورئيسية لا يمكن لامور ثانوية وفرعية ان تغطي عليها. لذلك سنقسم البحث الى قسمين: الأول عن تراجع نظام الهيمنة العالمي. والثاني صعود المقاومة وشرعية سلاحها.

القسم الاول: تراجع نظام الهيمنة.

لابد من الاتفاق –ابتداءاً- على بعض الاسئلة التي بدونها لن تكون لدينا قاعدة واضحة لتقييم الامور.

السؤال الاول:

هل يتشكل العالم اليوم من "مجموعة دول"، وداخل كل دولة هناك قوى مختلفة مُتصارعة ومتوافقة، وان محصلة هذه الصراعات والتوافقات هو ما يرسم السياسة على صعيد كل بلد اولاً، وعلى الصعيد الاقليمي ثانياً، وعلى الصعيد العالمي ثالثاً؟

أم إن العالم هو "نظام متكامل"، تقوده دول بعينها، لها اهداف محددة للسيطرة والهيمنة على بقية دول العالم؟ وللكيان الصهيوني دور محدد فيه؟ وهذا ما يرسم السياسة على صعيد عالمي اولاً، وعلى الصعيد الاقليمي ثانياً، وعلى صعيد كل بلد ثالثاً.

فمن يرى العالم "مجموعة دول"، وأن السياسات النهائية هي حصيلة التفاعلات المختلفة سيشوش رؤيته بتفاصيل واحداث كثيرة تمنعه من فرز الأهم من المهم، والقضايا الاساسية من الفرعية. والقوى الكبرى الفاعلة من القوى الهامشية الطارئة، ودور الكيان الصهيوني في ذلك كله.

عندها ستبدو الصورة واضحة ولن نغرق بالتفاصيل والشؤون اليومية التي تشوش الرؤية. فمن يتبنى الموقف الاول سيبدأ باستعارة شعار الرئيس "ترامب" بالقول "امريكا اولاً"، فيرفع بدوره شعار "بلادي اولاً"، غير مدرك أن "ترامب" عندما يرفع شعاره هذا يريد به تأكيد هيمنته على العالم وقيادته له. وإن رفع بعض نخبنا هذا الشعار –ولو بحسن نية- سيعني جهلهم أو تجاهلهم بأننا نخضع لـ"نظام دولي" (وبالتالي إقليمي) محكم يتحكم بنا، وهو السبب الرئيس لانقساماتنا وحروبنا الداخلية وتخلفنا وتبعيتنا واحتلال اراضينا والانتقاص من سيادتنا. فإن إنشغلنا بقضايانا الداخلية فقط، ولم نتصدَ للتحرر من تبعيتنا الخارجية (التي هي علة اساسية لقضايانا الداخلية) فسندور دائماً من أزمة لاخرى، ومن إنسداد لآخر، ومن إنقسام وفتنة إلى غيرهما، لنترك لنظام الهيمنة استكمال تحكمه بنا.

فنظام الهيمنة والاستعمار أسس منظومات تَحكمُنا حتى ولو كنا نحن حكامها الرسميين. فإن سرنا وفق خططه فسنخدم مصالحه، ونبقى تبعاً له، يسلبنا حقوقنا وثرواتنا وسيادتنا. ليعود ويمنحنا اياها قيماً هجينة. ومنظومات عمل تنقل ثرواتنا وعقولنا الى خارجنا. وتشيع الفساد عندنا. وترتب علينا ديوناً، يعيدون جدولتها إن تماشينا معهم، وعكسها إن خالفناهم. ويفرضون علينا اخلاقهم وثقافاتهم وتاريخهم. ويضعون لنا ضوابط وقواعد عسكرية وجاسوسية، وتواجد قوات يدعون انها لحمايتنا. وقس على ذلك. فإن عارضناها، فالعقوبات واثارة الفتن. فما لم نتحرر من هذا القيد او ان نكسره ولو جزئياً ونحرر انفسنا من مسبباتها ومغذياتها، فان القضايا المحلية الاساسية –على أهميتها- ستبقى اموراً فرعية لا حل لها. فنحن –شئنا ام ابينا- طرفٌ مستلبٌ مغلوبٌ ضعيفٌ في هذا النظام. فقضايانا مع منطقتنا والعالم مترابطة ترابطاً عضوياً. وهما الاساس في صناعة حراكنا الداخلي عبر طبيعة الانظمة التي قادنا ويقودنا هذا النظام اليها. وإن مواجهة ذلك كله لا يكون بنأي انفسنا عنها.

السؤال الثاني:

اذا اتفقنا ان العالم "نظام متكامل". فعندها سيسهل تقييم الاوضاع وفهمها. فيكون السؤال: هل ان "النظام العالمي" يتقدم ام يتراجع؟ وهل ان الولايات المتحدة (والغرب) تتقدم ام تتراجع؟ فالجواب على هذا السؤال له نتيجة مباشرة. وهي اختيار طبيعة المعايير المعتمدة لتقييم الاوضاع الاقليمية وفي كل دولة، وبالتالي جدوى او عدم جدوى المقاومة. اذ من المنطقي ان تتماهى الاوضاع الخاصة والفرعية مع الاوضاع العامة والاساسية، من الناحية الاستراتيجية.

هل تتقدم جبهة الغرب والولايات المتحدة ام هي في تراجع؟

اذا وصلنا الى نتيجة مفادها أن نظام الهيمنة هو في تراجع، فإن ذلك يعني ان الجبهات الاخرى الاقليمية والوطنية التي تعتبر مرتكزات لها ومنها الكيان الصهيوني هي في تراجع ايضاً من الناحية التاريخية والاستراتيجية. لا يغير ذلك نجاحاتها في بعض الساحات او المعارك، حتى وإن كانت اساسية. كما حصل في إغتيال القادة والدمار والتجويع أو خروج سوريا من محور المقاومة. فالمناخ العام لتراجع قوى المركز وتراجع حاكميته وادوات تدخله سيفرض نفسه على المركبات الاساسية لكل إقليم وساحة وبلد. فكل تراجع لنظام الهيمنة استراتيجياً هو تراجعٌ للكيان الصهيوني وللقوى المحلية المتماهية معهما استراتيجياً ايضاً. والعكس صحيح.

وهذه بعض الملاحظات:

١ـ تُجمع كل المؤشرات العسكرية والاقتصادية والعلمية والمجتمعية والاخلاقية والقانونية والقيمية أن "النظام العالمي" في مرحلة تراجع وتفكك. لا حاجة لاعادة ذكر الاحصاءات والارقام التي باتت تملأ تقارير مراكز الابحاث والاعلام ودراسات المفكرين في جبهة الغرب نفسها، وليس خارجها. وهنا قد يعترف البعض بهذا التراجع، لكنه يقدم اطروحة معروفة مفادها، أن النظام الاستعماري شهد مراراً حالات تراجع، لكنه استطاع بعد حين استعادة مصادر قوته وهيمنته. وان من طبيعة النظام الرأسمالي والليبرالي تجديد نفسه. الجديد هنا ان هذا كان يحصل بين اطراف نظام الهيمنة نفسه. فتنهار فيه قوى لتستلم عصا السبق قوى من داخله تقوم بتجديده. كما انهارت قوى اسبانيا والبرتغال لتتولى القيادة فرنسا والمملكة المتحدة، او كما انهارت القوى الاخيرة لتتولى القيادة الولايات المتحدة الامريكية.

٢- إن تراجع نظام الهيمنة ومعه الكيان الصهيوني ليس مسألة اقتصادية، أو تكنولوجية او انه تراجع في إمتلاك مصادر القوة فقط، بل يعود أساساً لتآكل وانهيار النظام الإستعماري وقيمه وأدوات عمله اساساً. وإن كل مظاهر التراجع الاخرى هي نتاج تآكل هذا النظام وإنهيار مرتكزاته الاساسية. فهذا النظام قام منذ القرن السادس عشر، على سياسات الابادة الجماعية والجرائم ضد الانسانية، والوحشية المطلقة والنظم الرأسمالية التي هدفها الاول والاساس هو الربح، والفردية والعنصرية وتفوق الرجل العنصري الأبيض. فمع نشأة الرأسمالية كان التصور أن المنافسة والبحث عن الاسواق ستجعلها تنتشر للعالم كله، لتقدم رسالة حضارية وتنموية تعم البشرية كافة. لكن نشأة الرأسمالية من نهب القارات الاخرى وابادة السكان، واستقواء الاستعمار بالرأسمالية وتدميرها كل المقومات القيمية والاجتماعية والخلقية والمادية لتفكيك ما يسمى بـ"البطريركية"، أي ارتباطات الانسان بانتمائاته الطبيعية، إن وقفت أمام تراكم المال والارباح. فالذي يتآكل ويتراجع الان هو كامل هذه المنظومة. وان ظهور التصدعات على السطح هو لانهيار وتضعضع الاسس والمقومات الموروثة من اعماق التاريخ.

٣ـ لذلك تأتي البدائل اليوم من قوى من خارج هذا النظام. تعمل وفق مفاهيم وانظمة وقيم وتطلعات تختلف عن المنظومات الاستعمارية والصهيونية. إنها (البدائل) تأتي بالذات من المستعمرات القديمة التي كان نهبها واستغلالها هو الاساس في تموين، وتغذية، واستقواء النظام الرأسمالي العالمي، ونتيجته الطبيعية، الاستعمار والامبريالية والصهيونية. لكنها تأتي ايضاً من حركة الشعوب بما في ذلك شعوب الدول الرأسمالية والمستعمرة ذاتهم.

٤- "جون ميرشيمر" الاستاذ الكبير في جامعة "شيكاغو" والذي يعد اليوم من أكبر العلماء السياسيين الامريكيين وفي العالم، خصوصاً في السياسات الدولية الاستراتيجية، يشرح بدقة في كتابه "الوهم الأكبر" The Great Delusion (٢٠١٨) هزيمة "نظام الهيمنة" بأحلامه الليبرالية لإكتساح العالم، وفرض القيم الليبرالية والنظم الرأسمالية وسياسات الهيمنة، أمام كل من السياسات الواقعية كما مع روسيا والصين، او السياسات الوطنية كما في العراق وأفغانستان وغيرهما.

٥ـ إن تراجع قدرات نظام الهيمنة في مركزه يعني ان العالم يعيش اليوم مرحلة إنتقالية تعمها الفوضى وحالات التعطيل والتصادم. وهو ما ينعكس بغياب الحاكمية الشمولية العليا، والقرارات والسياسات الأممية. فلم يعد الأمر كما كان خلال القرون والعقود الماضية. فهذه الفوضى، وتراجع السياسات الاستراتيجية في المركز، وارتباك سياساتها، وضعف فعالية قواتها، وتخليها عن دعم حلفائها وحمايتهم سواء أكانوا اقاليم ومناطق نفوذ او بلدان، بل مطالبتهم هم بدعمها، أدى لتصاعد دور الصراعات/التسويات في الاقاليم والدول. فالدولة او الاقليم الذي لا تتقدم فيه قوة ماسكة إقليمية او محلية سيفقد وزنه، وسيكون عرضة للفوضى والاقتتال ومختلف انواع الازمات. لا نقول ان تأثيرات المركز العالمي تلاشت، بل نقول انها ضعفت وتراجعت، وإن ادوار القوى المحلية تصاعدت. وهو ما يفسر سلسلة تطورات باتت تحصل امام انظارنا في مختلف الفضاءات والاقاليم والمناطق والدول.

٦- هذا هو وضع منطقة غرب اسيا (المسماة خطأ بالشرق الاوسط). اذ يحاول الكيان الصهيوني بدعم امريكي ان يلعب دور الحاكمية والاملاءات على الاخرين، لتكون له اليد العليا. والذي يواجهه، ١- ما يسمى بقوى الممانعة، أو محور المقاومة وما تضمه من حكومات ودول وشعوب. او ٢- ما يسمى بالقوى الواقعية، او ما يسمونه بـ"سياسة التوازن" (رجل هنا ورجل هناك) كما هي سياسات معظم دول وحكومات المنطقة.

وهذا هو وضع اوروبا ومحاولة الناتو ومن خلفهم الولايات المتحدة في السيطرة على القارة باضعاف روسيا واستسلامها، على الاقل حتى لقاء بوتين/ترامب في الاسكا. وهذا هو وضع الولايات المتحدة مع كندا وغرينلاند وبنما ودول امريكا اللاتينية. وهو وضع الصين وشرق اسيا. وقس على ذلك.

٧ـ لا يمكن تصور مشاريع هجومية استراتيجية لمرتكزات "النظام العالمي" كالكيان الصهيوني، اوالانظمة المتماهية معها، او الجماعات التي تتغذى بافكارها وتحظى بدعمها وتحقق لها مشاريعها، مع تراجع المركز العالمي الذي يحميها ويغذيها. فالمشاريع الكبرى شهدناها مع صعود نظام الهيمنة والكيان الصهيوني. وسنشهد على الاغلب تفككها اليوم مع تراجع هذا النظام ووليدته الكيان الصهيوني. فمشاريع "الشرق الاوسط الكبير"، ومختلف الطروحات عن الممرات الجديدة، واسقاط الأنظمة، وإحلال اخرى بديلة، كلها مشاريع وخطط موجودة على الطاولة. لكن فرص نجاحها يخالف المنطق وواقع الامور. وهي لن تنجح الا في الحالات التي تتراجع فيها الانظمة او الشعوب او المقاومة او جميع هذه امام تهويلات الدعاية والاعلام والضغوطات السياسية والاقتصادية والنفسية.

٨ـ الأهم اننا نمر بمرحلة انتقالية فوضوية قد تستمر سنوات وعقود. مرحلة سنشهد فيها ارهاصات ومخاضات واضحة بينة. سببها دخول "النظام الدولي" في مراحل التراجع والتفكك من داخله، وليس من خارجه فقط. ففي المراحل قبل الحرب العالمية الثانية بدأ المعسكر الغربي بفقدان سيطرته المباشرة على مستعمراته. وكانت من بين وسائل تجديد نفسه هي ايجاد وسائل اقتصادية وسياسية وتقنية تساعده في ابقاء سيطرته المباشرة وغير المباشرة على بقية بلدان العالم. لكن هذا الخيار شهد تراجعاً كبيراً بعد نهضة المستعمرات وتقدمها في مجالات عديدة على مستعمريها السابقين، خصوصاً مع نهاية القرن الماضي وبدايات هذا القرن. فانقلبت الكثير من ادوات القوة في "النظام الاستعماري" لتصبح بمثابة عقبات وعوامل ضعف وعرقلة. وهو ما لا يركز عليه الكثير من قادتنا ونخبنا. فيتكلمون عن مشاكلنا وصعوباتنا وخسائرنا بعقلية وثقافة الهزيمة، ومهابتهم التقليدية من الدول الاستعمارية والكيان الصهيوني، من دون الكلام عن التراجع الوجودي والبنياني في جبهة الهيمنة والاستكبار، والمشاكل والصعوبات والخسائر التي تصيبهم. مما يمثل ثلمة كبيرة في وعي المرحلة واستقراء مآلاتها، ويثير خلافات وانقسامات بين شعوبنا. تضعفنا وتثير المخاوف التي هي ارضية ممتازة لتقديم التنازلات المخالفة لموازين القوى. وهذه بعض الامثلة لانقلاب الادوات من عناصر قوة، إلى عوامل عرقلة وضعف في اطار نظام الهيمنة والكيان الصهيوني:

أ- الرفاه الاجتماعي وارتفاع المداخيل والمساعدات الاجتماعية واستقدام اليد العاملة الرخيصة التي كانت عامل وحدة وقوة داخل تلك المجتمعات. فتحولت الى اعباء وانقسامات اجتماعية وسياسية وارتفاع في تكاليف المعيشة واليد العاملة. التي لا يجدون حلاً لها الا بترحيل ديونهم وعملاتهم الى خارجهم، وبتقليص النفقات، وفرض التعرفة الجمركية، وتقليص العمالة، وزيادة سعر الفائدة، والهروب الى الأمام في مشاريع مغامرة بائسة. ومنها دعوات الحرب وتوسيع المساحات لتوفير المصادر الطبيعية الضرورية.

ب- النظم الديمقراطية والمساءلة والتداول السلمي والشفافية والحريات الواسعة التي جعلت من أوطانهم إنموذجاً يُقتدى به، ويهرب اليه ابناء الشعوب الفقيرة والمضطهدة، لتتكشف اليوم الكثير من الحقائق والعيوب. فهذه النظم هي نظم ديمقراطية في بلدانهم لكنها دكتاتورية وعنيفة عند غيرهم. وهذه النظم الاستعمارية عندما أهتزت قواعدها، وتراجعت مواردها ومصادر قوتها، واصبحت عاجزة عن "رشوة" جماهيرها تكشفت اكثر فاكثر طبيعتها وممارساتها العنصرية والعنفية والمنحرفة حتى مع مواطنيها او المقيمين والمتجنسين حديثاً في بلدانها. فشهدنا الكثير من المظاهر للتخلي عن اسس وضمانات هذه النظم. لتستبدل بالقرارات والتشريعات الشخصية التنفيذية، وترسيخ دور "الدولة العميقة" والمجمعات الحاكمة خارج اي رقابة. وازدياد ممارسات التصدي في الخارج لأي نظام ينجح "ديمقراطياً" في انتخاب قيادات لا تتماشى مع السياسات الاستعمارية والصهيونية. فيقومون بشيطنتها وفرض العقوبات عليها. والسعي عبر "الثورات الملونة والقوى الناعمة" للإتيان بانظمة موالية على حساب المصالح العليا لبلدانها.

ت- العدالة ونظم حقوق الانسان والقيم الانسانية والتعايش بين الشعوب، بغض النظر عن الدين والجنس والعرق والوطن كانت شعارات المراحل السابقة. فاستقبلوا الملايين من أبناء الشعوب الاخرى في حروبهم، وكيد عاملة رخيصة، عندما كانوا حاجة اقتصادية وضرورات ديموغرافية واجتماعية لبقائهم كبلدان مقتدرة وحيوية. لتتحول الى حملات ضد المهاجرين وعصبيات ضد الشعوب، وبرامج انتخابية وحكومية مملوءة حقداً وبشاعة على الشعوب الاخرى. ناهيك عن مواقفهم من قضايا العدالة والقوانين والمبادىء التي نشروها هم في المراحل السابقة. وفرضهم العقوبات على قضاة ومحاكم ومنظمات امية لم تعمل شيئاً سوى القيام بما أوجبه ميثاق الامم المتحدة، والقانون الدولي والانساني، الذي صاغوه واقروه هم، وليس غيرهم.

ث- التقنيات المتقدمة التي سمحت بالتفوق التكنولوجي في كافة المجالات قديماً، لتتحول الى قيد وكلف وصعوبات انتاج في الكثير من المجالات.

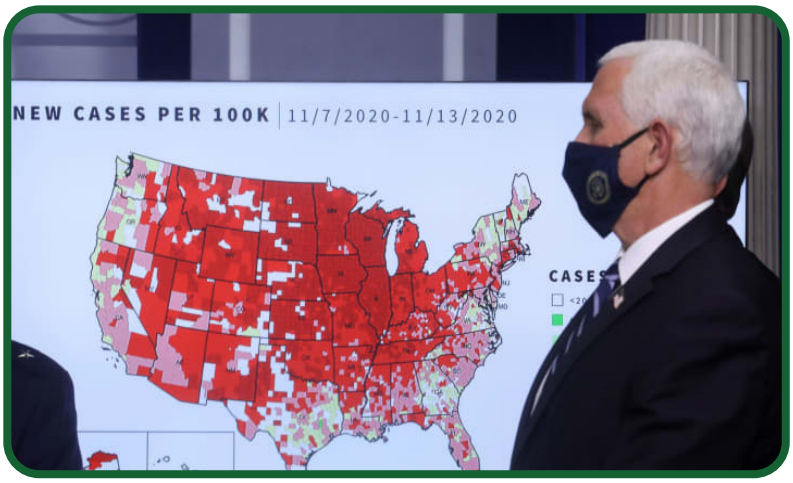

• لنأخذ مثال جائحة "الكورونا" وكيف تقود مستويات الرفاه، وأنماط العيش، والليبرالية الخداعة، وغرور وعناد الزعماء، ووهم الارباح الرقمية، وضخامة المؤسسات ورقي تقنيات الاجهزة، في بلد عظيم وكبير ومتقدم كالولايات المتحدة، إلى فشل ذريع، عند مقارنتها بدول اخرى. فمن بين (٧,٠١٠,٦٨١) ملايين وفاة عالمياً ليومنا هذا بسبب "الكورونا"، بمعدل (٨٩٩,٤) وفاة لكل مليون انسان في العالم. كان عدد الوفيات في الولايات المتحدة (١,٢١٩,٤٨٧) مواطناً، أي (١٧,٤٪) من وفيات العالم، بمعدل (٣٦٤٢) وفاة لكل مليون مواطن أمريكي. بينما كان عدد وفيات الصين (٥٢٧٢) مواطن بمعدل (٤) لكل مليون، والعراق (٢٥,٣٧٥) وفاة بمعدل (٦٠٢) لكل مليون.

هذا مثال لأزمة داخلية أمكن تعريف حجمها وطرق مواجهتها، وفشلت فيها الإدارة، رغم ضخامة الإمكانيات. فشلت لغرقها في التقنيات ومصادر القوة السابقة، وضخامة المؤسسات والاجهزة، وأولوية الشركات الكبرى، وتسييس المختبرات وبراءات الاختراع، والإدعاءات الفارغة، والشعبويات الانتخابية، والتخلي عن الجماعية لمصلحة الفردية والربحية، وتربية المواطنين على الحياة المريحة فقط، والانحياز للطبقات العليا ونسيان الطبقات الدنيا، وتغليب العامل التكنولوجي على العامل الانساني والمعنوي والروحي، وقتل الدوافع والحوافز الطبيعية، وتدمير المؤسسات المجتمعية الطبيعية، كالعائلة والتكافل الاجتماعي. وهي ستفشل حتماً في مواجهة أزمات خارجية لمواجهة المنظومات الجيوسياسية/الجيوإقتصادية للأسباب ذاتها أيضاً. فالجائحة يمكن احتوائها، لكن المنظومات التي تتقدم على المنظومات الاستعمارية لا يمكن احتوائها.

• تشير الهزائم التي تتعرض لها اوكرانيا الى تخلف المنظومة الغربية امام المنظومة الروسية، التي عانت بعد تفكك الاتحاد السوفياتي من صعوبات وتحديات كبيرة. وهناك توافق اليوم على فشل السياسات والعقوبات التي وضعها الغرب وامريكا ضد روسيا. وهذا يشير بشكل فاضح الى تخلف نظام الهيمنة من فهم اوضاع الاخر بشكل سليم وموضوعي. فالأوضاع يتم فهمها انتقائياً. وعبر تقارير الاستخبارات، والتقارير السطحية الاعلامية، ودراسات المراكز البحثية التي غالباً ما تعمم القضايا الجزئية على حساب فهم القضايا الاساسية، اضافة الى معلومات وتقارير المنشقين والمعارضين. لهذا فتخطيء تقديراتهم وخططهم.

ان ميزان القوى ظهر واضحاً في اجتماع "الاسكا" بين "ترامب" و"بوتن". حيث يقول "جون بولتن" مستشار الأمن القومي الأسبق، ان "بوتن" خرج رابحاً بشكل واضح، وإن "ترامب" جنب شخصه الهزيمة. مع تأكيد الاعلام الامريكي والاوروبي ان امريكا هي الخاسرة. اذ تضطر الان للتعامل مع "بوتن" كشريك لابد منه. والتخلي عن الاهداف التي قاتل من اجلها الناتو. وان معيار من ربح ومن خسر هو ان الناتو يريد وقف اطلاق النار، بينما تشدد روسيا على ايقاف الحرب. وهو موقف يشبه الى حد كبير الموقف في غزة بين "حماس" والكيان الصهيوني. لذلك ينقل الاعلام الامريكي أن ترامب دخل الاجتماع ساعياً لوقف اطلاق النار، لكنه تكلم بعد الاجتماع انه لابد من وقف مجمل الحرب. مما يؤكد قول هنري كيسنجر "من الخطر أن تكون عدواً للولايات المتحدة، لكنه سيكون قاتلاً ان تكون صديقاً لها".

It is dangerous to be the) US enemy, but fatal to be its (friend.

• أعطت "العقيدة العسكرية" لحلف الناتو منذ فترة الأولوية لـ"التقنيات الفوقية والمعقدة". والسعي لكسب الحروب من الجو وبالجاسوسية والاغتيالات والتدمير وباقل التضحيات، والاستعاضة في الحرب الحديثة عن الجيوش الضخمة بجيوش النخبة المدربة تدريباً عالياً ومكلفاً. فتخلت الى حد كبير عن "منظومات انتاج الاصول الحقيقية". مما زاد من صعوبة تزويد الجبهة بالسلاح والعتاد والعديد اللازم. فاستطاعت سياسات "الهندسة العكسية" في انتاج الدرونات والصواريخ الدقيقة. ونتذكر الدور الذي لعبته الدرونات الايرانية في الحرب في اوكرانيا في الأشهر الأولى للحرب. والأمر ينطبق أيضاً على الحرب ضد الكيان الصهيوني، الذي يتفوق بالطيران، الذي بات عملياً سلاحه الاساس والوحيد بعد فشله المتكرر في الميدان في غزة ولبنان. فإذا ما تم تحييده، وهذا امر ممكن تماماً، فان فقدان هذه الميزة ستُحدث تحولاً استراتيجياً في ميادين المعركة لمصلحة المعارك البرية وقوى المقاومة، على غرار ما أدى إليه استخدام "الكورنيت" في حرب لبنان، والعبوات الناسفة في حرب غزة. وستنزع عن الكيان الصهيوني ورقة ادعاءات النصر بالاغتيالات والهجمات وتدمير المباني والعربات من الجو. وهذه نقلة نوعية في تغير موازين القوى. اذ كانت المعارك وخسائرها تجري في أراضينا وبين شعوبنا فقط، بعيداً عن إي إرباك او خسائر في جماعاتهم ونمط حياتهم والتفكير بمستقبلهم ومصير كيانهم.

• فالتقنيات المتقدمة التي كانت سر نجاحاتهم تحولت الى سر عجزهم في توفير الذخيرة اللازمة، ووسائل القتال القادرة على تحقيق انتصارات براً وفي الميدان. وكمثال بالنسبة للولايات المتحدة فان انتاج طائرة "أف ٣٥" تتطلب لتصنيعها كفاءات تقنية عالية، وكلفاً هائلة، ومدة تتراوح بين (١٨) و (٢٤) شهراً في خط الانتاج الواحد. بينما في الحرب العالمية الثانية (١٩٤٣) كانت صناعة قاذفة القنابل "بي ٢٤ ليبريتور" تستغرق (٦٣) دقيقة في الخط الواحد. وقابلة للطيران خلال (١٨) ساعة. وتتراوح كلف صواريخ الدفاع الجوي الاسرائيلية كـ"السهم٢ او ٣" (٢,٥ـ٣,٥) مليون دولار، والمعلوم انه يتم عادة اطلاق صاروخين واحياناً (١٠) صواريخ مضادة لإسقاط صاروخ باليستي. بينما كلفة الصواريخ اليمنية او الايرانية هي بحدود نصف مليون دولار. وان كلفة الطائرات المسيرة الإيرانية قد لا تتعدى (٢٠) الف دولار. واضافة لمشكلة الكلفة هناك مشكلة "قابلية الاستجابة". إذ تشير التقارير ان "إسرائيل" لا تستطيع إنتاج اكثر من (٥٠) صاروخاً مضاداً سنوياً من المذكورة اعلاه. بمعنى ان مخزونها وقابليتها السنوية لتلك الصواريخ ستنفذ ان تم مهاجمتها باقل من (٥٠) صاروخ باليستي. وستعتمد على دعم الولايات المتحدة والاخرين لتواصل القتال.

القسم الثاني: صعود المقاومة وشرعية سلاحها

"طوفان الاقصى" والمقاومة: ونتائج المعارك؟ استنتاج اكثر من اساسي:

اننا نواجه حالة إنكار وعناد من دولة الكيان ومن قوى الاستكبار والمجاميع المتماهية معهما. حالة انكار للاعتراف بان موازين القوى تتحول سريعاً وجذرياً باتجاه الشعوب والقوى الجديدة الصاعدة من المستعمرات القديمة ("بريكس"، شنغهاي، الخ). وان هناك تراجع تاريخي وبنياني ووجودي كبير لدى قوى الهيمنة والكيان ومن يقف معهم، خوفاً او اعتقاداً.

بالمقابل ترى القوى الصاعدة الجديدة من بلدان الحضارات والمستعمرات القديمة -بما فيها محور المقاومة- ان كسب المعارك على الارض هو الاساس لكسب الحروب. وهم يعتقدون ان هذه حرب طويلة تستنزف العدو، بينما يركز عدوهم على العمليات المثيرة التي تصبح هي حديث الناس وتعطي الانطباعات الكاذبة انهم يحققون انتصارات حقيقية.

انطلاقاً من ذلك، فبدل ان يرى "الكيان" وبقية القوى المؤيدة له في "طوفان الاقصى" مؤشراً اضافياً للتآكل التدريجي والتراكمي الذي بدأ يعاني منه معسكرهم، وانتقال المعارك الى عقر دارهم، بعد (٧) عقود ونيف من النكبة. وللمرة الاولى صرنا نشهد الهجمات المؤثرة والخسائر الكبيرة جداً في صفوف الجيش والمستوطنين. والانقسامات المجتمعية الحادة والعدائية. والتظاهرات (نصف مليون الى المليون حسب تقدير وسائل الاعلام الاسرائيلية يوم ١٧ آب) والاضرابات الكبيرة. ودعوات العصيان المدني. وفقدان المجتمع الكثير من ثقته السابقة بالجيش المرهق اصلاً. والذي تظهر عليه عوامل تمرد غير قليلة. ورفض الخدمة واعمال انتحار ذات دلالات كبيرة. والانقسام الحاد بين المستوى السياسي والعسكري. والأثار الكبيرة على المصالح العامة والاقتصاد، خصوصاً قطاع تكنولوجيا المعلومات الذي يسيطر على (٣٠٪) من صادرات الكيان (إذ بلغت الخسائر الاقتصادية (٩٠) مليار دولار بسبب الحرب. وكذلك التوقف شبه الكامل للسياحة كواحدة من أهم موارد الكيان. وهروب الالاف من الشركات والاستثمارات. وتعطيل اليمن العزيز الأبي الشجاع وإيران ومحور المقاومة لميناء ايلات كلياً، وارباك الحياة في عموم الكيان، وتعطيل إنسيابية عمل مطار اللد. هذه الامور والكثير غيرها قادت لخسائر هائلة تزداد حدتها كل يوم. ولانخفاض كبير في سوق الاسهم والعملة الاسرائيلية وتخفيض تصنيفهم الائتماني. فأنخفض إنفاق المستهلك بنسبة ٢٧٪، والواردات بنسبة ٤٢٪ والصادرات بنسبة ١٨٪، حسب ارقامهم التي يشكك بها الكثير من المراقبين. ويقول اعلامهم ان حرب الـ(١٢) يوماً مع إيران أعادت الاقتصاد الاسرائيلي سنة الى الوراء. وكذلك تأثيرات الحرب على الهجرة الداخلية والخارجية التي هي ركن اساسي في المشروع الصهيوني، ناهيك عن موضوع الاسرى الذي عجزت كل الحملات عن تحريرهم، رغم وجودهم في مساحة لا تتجاوز (٣٥٠) كيلومتر مربع.

صحيح اننا نعاني ونقدم اغلى التضحيات، لكن هذا كان وضعنا خلال العقود والقرون الماضية أيضاً. وما يجب التركيز عليه الآن، ان العدو بات يألم ويعاني مثلنا. فجبهة الشعوب والمقاومة وصلت الى القعر. وإن كل المؤشرات تشير الى انها في طريق صاعد. وما علينا الا ان نتذكر اوضاعنا قبل عقد او عقدين او اكثر لنرى التقدم الذي تحقق في فلسطين والمنطقة والعالم. وكيف يتدهور وضع العدو الذي بلغ القمم قبل "طوفان الاقصى" وكيف خسر ويخسر الان معظم مرتكزات قوته السابقة. ويسير في خط نازل، يزداد تدهوراً في كل يوم. ليتحول التأييد العالمي الذي كان يحظى به الى ادانات باقسى الجرائم من المحاكم والهيئات والشعوب.

لهذا سنرتكب خطأ قاتلاً في تقدير موازين القوى ومآلات المستقبل إن ركزنا على صعوباتنا وتضحياتنا فقط، ولم نركز أولاً وأساساً على خسائر العدو وازماته الخانقة الموضوعية والوجودية التي لا علاج لها. وإن واحدة من أهم اسلحته هي استخدام الاعلام والضغوط السياسية والهجمات المثيرة التي تزرع الاحباط والخوف والعجز بل احياناً الجبن وسرعة التنازل لدى نخبنا وحكوماتنا. فنشهد حملات كبيرة للتخويف وللترويج لثقافة الهزيمة. كما نشهد نشاطات متزامنة لتفكيك قوى المقاومة او مرتكزاتها وسحب سلاحها او تعطيل قدراتها، وسنأخذ مثال "الحشد الشعبي" في العراق.

قانون الحشد الشعبي:

يعمل الحشد وفق قانون نافذ هو القانون رقم (٤٠) لسنة (٢٠١٦) المنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٤٤٢٩) بتاريخ ٢٠١٦/١٢/٢٦. الذي تنص المادة (١)

أولاً:

"ثانياً تتكون هيأة الحشد الشعبي المعاد تشكيلها بموجب الأمر الديواني المرقم (٩١) في (٢٠١٦/٢/٢٤) تشكيلا يتمتع بالشخصية المعنوية ويعد جزءً من القوات المسلحة العراقية ويرتبط بالقائد العام للقوات المسلحة."

ثانياً:

"ويكون ما ورد في مواد الأمر الديواني (٩١) جزءً من هذا القانون".. باعتباره "تشكيلا عسكريا مستقلا وجزء من القوات المسلحة.. ويخضع للقوانين العسكرية النافذة من جميع النواحي.. ويتم تكييف منتسبي ومسؤولي وآمري هذا التشكيل وفق السياقات العسكرية من تراتبية ورواتب ومخصصات وعموم الحقوق والواجبات". وهنا لدينا بعض الملاحظات:

١- **القانون السابق او مقترح القانون الجديد لا يؤسس للحشد.** فالحشد اسسته فتوى "الجهاد الكفائي"، وعمدته دماء الشهداء. ثم جاء التقنين والتشريع الرسمي ليحول الشرعية الطبيعية والتاريخية والشعبية الى شرعية قانونية. وهو ما بات جزءاً رئيسياً من السيادة والأمن والسلم الاهلي ومحاربة الأعداء.

٢-**حصل خلال النقاشات ارتباك شجع بعض السفارات -بمعرفة او جهل- للتدخل والسعي لمنع إقرار القانون الجديد المطروح.** وبدأتْ بالكلام عن ان إقرار قانون الحشد سيهدد "الشراكة الأمنية "، وهذا كله ضجيج اعلامي، وضغط سياسي بعيد كل البعد عن الواقع. سواء من حيث رواية الشراكة التي لا تنظمها اية وثيقة او قرار تشريعي او تنفيذي اصولي، وعكسه تماماً فان القرارات التنفيذية والتشريعية الاصولية هي انسحاب القوات الاجنبية الذي تم تحديد مواقيت زمنية لانجازها. او من حيث مشروعية الحشد المؤكدة بقانونه الحالي او الجديد.

سحب السلاح وحصره بيد الدولة ومرتكزاته الدولية القانونية والشرعية والاخلاقية:

هناك خلط كبير بين مفهوم السيادة والشرعية وحصر السلاح بيد الدولة، وبين شرعية السلاح وحق الشعوب في المقاومة بما فيها المسلحة، إذا ما تخلت دولهم وحكوماتهم في عدد من الحالات عن واجباتها. فالمقاومة لا تكتسب شرعيتها من الاعتراف بها. بل تأخذ شرعيتها من مواجهة الشعب للعدو الذي يهددها. فمن يعطي حق الشرعية هو مواجهة العدوان والاحتلال. والمقاومة هنا شرعية ـ بشرطها وشروطها ـ ولا تحتاج لاعتراف من الدولة او الدول او الامم المتحدة او غيرها.

١ـ لكن الامر ليس على هذا الاطلاق. اذ لابد من تعريف وتحديد طبيعة العدو والعدوان. سواء اكان عدواً محتلاً واستيطانياً واحلالياً او يقوم بالفصل العنصري والتطهير العرقي او يمارس القمع المفرط، او يقوم باعمال ارهابية على اسس تكفيرية. فالمقاومة امام هذه الحالات هي حالة شرعية –حتى على مستوى فردي- فهي دفاع عن النفس بدون أي لبس. بخلافه، لا اعتبار لافتراضات ذاتية والادعاء بمواجهة عدو ان كان الامر هو مجرد مشاريع فئوية وفتاوى منحرفة، وأفراد او مجاميع يحركهم الاعداء.

٢ـ عندما تقوم الدولة بدورها في مواجهة العدوان بكل اشكاله والدفاع عن السيادة والشعب ومقاومة الاحتلال، بصدق وجدية، فإنه يجب ان يُترك لها هذا الواجب، ويجب عدم التشويش عليه، بل التكامل معه والاستظلال به. او عندما ينتظم جسم كبير ومسؤول. ويتحول الى "مقاومة" وقيادة يقبل بها نصاب وازن من الشعب. وتغطيه الدولة صراحة او ضمناً. وتبرهن هذه القوى أن سلاحها هو ضد العدوان، وعن تمسكها بالقوانين الانسانية والسلم الاهلي، وانها تجري مراجعات نقدية مستمرة لسياساتها ومعالجة ما وقعت فيه من اخطاء، فإنها ستعتبر رديفاً للدولة، أو كبديل لها عندما تتخلى الدولة عن واجباتها ومسؤولياتها.

٣- ان مجرد وجود السلاح خارج الدولة لا ينفي عنه مشروعيته. فالسلاح موجود بيد العشائر او بيد مكونات او افراد. فالمشكلة ليست في السلاح ذاته، بل في انتمائه. هل هو بالخط الطولي للدولة والسلم الأهلي وحمايتهما. ام هو معادٍ للدولة والأمن الوطني. فالدول تضع ضوابط لهذا السلاح بما في ذلك قوانين لتشكيل ميليشيات وقوات خارجها. وهو ما يُمارس في معظم الدول ومنها الولايات المتحدة الامريكية.

٤ـ ان "بدر" و"البيشمركة" و"قوات الشهيد الصدر" في فترات النظام السابق، اكتسبوا جميعهم شرعيتهم من اعمال التصدي لحملات الأنفال أو التطهير العرقي بإسقاط الجنسية العراقية عن ما يسمى بـ"التبعية"، وتهجيرهم او تجفيف الاهوار لتهجير سكانها، وغيرها من اعمال قمع. أو الحركات والفصائل التي قاومت الاحتلال والارهاب والذين انوى معظمها في "الحشد الشعبي والعشائري" قد اكتسبوا شرعيتهم من أعمال التصدي تلك. فالشرعية لا تمنحها الدولة، بل اكتسبتها هذه الجهات من مقاومتها لتلك الافعال المعادية. ولاشك ان اكتساب هذه الشرعية لا يمنح هذه المنظمات صكوكاً ابدية بشرعية اعمالها. فهي شرعية ما دامت ثابتة على المبادىء التي قامت عليها.

٥- والنقطة الأهم، هو أن يُطرح حصر السلاح ويقصد به جهة محددة او هوية خاصة معادية للكيان الصهيوني والاحتلال والارهاب، دون الجهات او الهويات الاخرى التي تحمل السلاح خارج الدولة، بالضد من السيادة والمصالح الوطنية. لذلك نقول بان هذه هي النقطة الأهم. لان من يضغط ويطالب بحصر السلاح هي قوى العدوان، والقوى المتماهية معها، مما ينطبق عليه القول "كلام حق يراد به باطل".

إن مجمل ما قلناه اعلاه له مرتكزات صلبة في القانون الدولي او الانساني. وقد بحثنا عبر المعاهدات والاتفاقات وقرارات المنظمات الدولية والقانونية والذكاء الاصطناعي في (٥) حالات تتعرض فيها حقوق الشعوب للانتهاك وهي:

١ـ مقاومة الاحتلال الاجنبي.
٢ـ مقاومة الفصل العنصري.
٣ـ مقاومة التطهير العرقي.
٤ـ تخلي الدولة عن واجباتها وممارسة القمع المفرط.
٥ـ مواجهة الارهاب والتكفير.

ونشرح ذلك فيما يأتي، وعلى مستويين اساسيين:

المستوى الاول: الشرعة الدولية او قانون العدالة الدولية او ميثاق الامم المتحدة:

١- في مقاومة الاحتلال: يعترف القانون الدولي (ميثاق الامم المتحدة، المادة ٥١) بحق الشعوب في مقاومة الاحتلال المسلح. ومثالها حركات المقاومة ضد الاحتلال الألماني النازي.

٢ـ في الدفاع عن الحقوق الاساسية: عند انتهاك حقوق الانسان (كالحق في الحياة، الكرامة، حق تقرير المصير) بشكل منهجي وفشل السبل السلمية وفق المادة (٣) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان.

٣- في الشرعية الاخلاقية: وفقاً لـ"جون رولز" الفيلسوف والسياسي الامريكي في كتابه "نظرية في العدالة" الصادر عام ١٩٧١ والمعدل عام ١٩٩٩ والذي يقدم فيه مبادىء اكثر جذرية للعدالة يسميها المبدأ الاول والثاني للعدالة، ومبدأ الحرية المتساوية الاعظم، ومبدأ الاختلاف وتكافؤ الفرص. ويطرح فيه "نظرية الحرب العادلة" وأن تكون المقاومة ملاذاً اخيراً بعد استنفاد الحلول السلمية، بهدف انهاء ظلم واضح. وان تكون "متناسبة" مع حجم الظلم وتجنب العنف المفرط. وان تعبر المقاومة عن ارادة شعبية حقيقية، وألا تستهدف المدنيين عمداً، وإنها ليست جماعات مدعومة من الخارج لاغراض استعمارية أو جهوية، او جماعات مسلحة منعزلة. او بالضد من حكومة تمثيلية تمثل ارادة الشعب حقيقة وليس ادعاءاً.

٤ـ في مقاومة الفصل العنصري والتطهير العرقي: التي تجد مبراراتها القانونية والاخلاقية في "الاتفاقية الدولية لقمع جريمة الفصل العنصري (١٩٧٣). فالمادة الاولى تعترف بحق الشعوب في مقاومة الفصل العنصري. وتجرم "المادة الثالثة" الافعال المرتبطة بالفصل العنصري كجرائم ضد الانسانية. وتصنف "المادة السابعة" من نظام روما الاساسي للمحكمة الجنائية الدولية (١٩٩٨) الفصل العنصري والتطهير العرقي كجرائم ضد الانسانية. كما تشير قرارات الامم المتحدة، الى تأكيد حق الشعوب المستعمرة في "استخدام جميع الوسائل المتاحة" (بما فيها المسلحة) حسب القرار ٣٠٧٠ (١٩٧٣). ويؤكد القرار ٣٧/٤٣ (١٩٨٢) حق الشعوب في مقاومة "الاحتلال الأجنبي والفصل العنصري".

٥- وتؤكد اتفاقيات جنيف الرابعة (١٩٤٩) في المادة الرابعة "حماية المدنيين تحت الاحتلال". ويؤكد البروتوكول الاضافي الأول (١٩٧٧)، المادة (٤١) ويعتبر "مقاومة الاحتلال نزاعاً دولياً".

٦ـ ويؤكد قرار مجلس الأمن ٢٤٢ (١٩٦٧) "عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالحرب". كذلك قرار الجمعية العامة ٣٣١٤ (١٩٧٤) في المادة السابعة الذي يعدّ: "مقاومة الاحتلال عملاً مشروعاً في الكفاح من أجل التحرر.

ماذا عندما تتخلى الدولة عن مهامها في الدفاع عن السيادة او القيام بمسؤولياتها في الملفات الاخرى:

١- مبدأ "المسؤولية عن الحماية" (R٢P) او Responsibily to Protect: وهو مفهوم اممي يدعو المجتمع الدولي ألا يتردد مرة اخرى، لايقاف الانتهاكات الصارخة الجماعية في أعمال الابادة، وارتكاب جرائم الحرب، والتطهير العرقي والجرائم ضد الانسانية. وهو ما اقرته الأمم المتحدة في ٢٠٠٥ و"الاجتهاد القضائي الدولي". الذي يسمح بالتدخل الدولي اذا فشلت الدولة في حماية شعبها. وقضية نيكارغوا ضد الولايات المتحدة في محكمة العدل الدولية ١٩٨٦. الذي أكد حق الشعوب في تقرير المصير دون تدخل خارجي. والذي اقرته الأمم المتحدة (محكمة العدل الدولية، ١٩٨٦). والتي أكدت فيه حق الشعوب في تقرير المصير، دون تدخل خارجي. وقضية "الجدار الفاصل" في فلسطين عام ٢٠٠٤، حيث اعتبرت المحكمة أن مقاومة الاحتلال حق مشروع، بما في ذلك باستخدام السلاح.

٢ـ في مواجهة الإرهاب والتكفير": قرار مجلس الأمن ١٣٧٣ (٢٠٠١) الذي يلزم الدول بمكافحة الإرهاب مع احترام القانون الدولي. واتفاقية (١٩٩٨) لقمع تمويل الإرهاب، والبروتوكول الإضافي الثاني لاتفاقيات جنيف (١٩٧٧) والمادة (١٣) التي تحظر استهداف المدنيين حتى في النزاعات غير الدولية.

٣- في الشروط الأساسية لشرعية المقاومة: "مبدأ التمييز" (القانون الدولي الإنساني) الذي يحظر استهداف المدنيين (البروتوكول الإضافي الأول، المادة ٤٨). و"مبدأ التناسب" بحظر الهجمات التي تسبب ضرراً غير مناسب (نظام روما، المادة ٨). واستنفاد السبل السلمية". ومن ميثاق الأمم المتحدة، المادة (٣٣)، ووجوب اللجوء للحلول السلمية أولاً. و"التمثيل الشرعي"، اي ان تمثل المقاومة إرادة الشعب (كقرارات الجمعية العامة ٢٦٤٩ و٢٦٧٥). وهو ما يؤكد عليه ايضاً القرار الاممي ٢٦٧٥ (١٩٧٠) بـ"احترام حقوق الإنسان أثناء النزاعات المسلحة.. ولا ينتقص ذلك من حق الشعوب المشروع في مقاومة الاحتلال". والقرار ٣٢٤٦ (١٩٧٤)، الذي يؤكد "شرعية كفاح الشعوب باستخدام جميع الوسائل المتاحة".

أمثلة تاريخية لعلوية شرعية المقاومة في مواجهة مختلف الاعداء:

أ- في مقاومة الفصل العنصري: مثال جنوب افريقيا. إذ بدأت المعارضة بحملات عصيان مدني بقيادة "المؤتمر الوطني الافريقي" في الخمسينيات. وبعد مجزرة شاربفيل (١٩٦٠) تحول "المؤتمر الوطني" للمقاومة المسلحة عبر "جناح رمح الأمة"، فأيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها ٣١/٦ (١٩٧٦) حق المقاومة واعترفت بشرعيتها بما في ذلك استخدام السلاح.

ب- في مقاومة الاحتلال الاجنبي عند تلكوء الدولة: ومثالها المقاومة الفرنسية اثناء الاحتلال النازي (١٩٤٠-١٩٤٤) والتي اعترف بها الحلفاء، إستناداً لاتفاقيات لاهاي (١٩٠٧)، رغم معارضة الحكومة الرسمية (أي حكومة "فيتشي" برئاسة الجنرال الفرنسي "باتون" الذي كان يُسمى جنرال فرنسا وبطل الحرب العالمية الأولى). تلك الاتفاقية شرعنت مقاومة الشعب والمدنيين للاحتلال، بالضد من موقف حكومتهم. وكذلك مثال ايطاليا، وتخلي الدولة في الدفاع عن السيادة ومحاربة الاحتلال. اذ بعد استسلام الحكومة الإيطالية للحلفاء عام ١٩٤٣، استمر الاحتلال الالماني، فأنبرت "لجان التحرير الوطنية" لمقاومة النازيين. والتي اعتبرت مشروعة. لتخلي الدولة عن حماية الشعب وطبقت مبدأ "المسؤولية عن الحماية الذاتية"، وهو ما اعترف به الحلفاء كقوة شرعية في مؤتمر باريس (١٩٤٥).

ت- في مقاومة التطهير العرقي: كما في البوسنة والهرسك (١٩٩٢-١٩٩٥) بعد ان حاصر الجيش الصربي "سراييفو" ومارس التطهير العرقي، تشكلت "قوة الدفاع الإقليمية" البوسنية لمقاومة التطهير. وهو ما اقرته محكمة العدل الدولية (٢٠٠٧). اذ اعتبرت أعمال صربيا "إبادة جماعية" مما ضمن شرعية قانونية وأخلاقية للمقاومة. كذلك اعمال التطهير العرقي سواء التي مارسها النظام العراقي السابق في حملات الأنفال ضد الأكراد او اسقاط الجنسية العراقية عن الفيليين وتهجيرهم من البلاد او عن جميع من نعتهم بـ "التبعية" الفارسية او "الصفوية"، او أعمال "داعش" ضد الأيزيديين ومقاومي الارهاب من الشيعة والسنة والتركمان والكرد، خصوصاً البارزانيين، كما تشير لذلك المقابر الجماعية والتي اخرها المقبرة الجماعية في الموصل (الخسفة) التي يقال انها تضم الألاف، وانهم اكتشفوا لحد الان سجلاً باكثر من (٢٠٠٠) منهم.

ث- في مواجهة الارهاب والتكفير: بعد سقوط الموصل (٢٠١٤) وعجز الحكومة عن مواجهة الارهاب والتكفير تصدى "الحشد الشعبي" وبقية القوى الشعبية (بجانب الجيش والشرطة) بموجب الفتوى المشهورة "للجهاد الكفائي" الصادرة عن الإمام السيستاني دامت افاضاته. فصدرت عدة قرارات دولية منها قرار مجلس الأمن ٢١٧٠ (٢٠١٤) الذي يدعو الدول لمكافحة "داعش".

المستوى الثاني الأهم: في اولوية حق الشعوب قبل الدول في مواجهة الاحتلال واعمال الابادة والارهاب والتكفير

تطورت خلال العقود الاخيرة مبادىء اكثر عدلاً وانصافاً من المبادىء التي اقرت خلال القرن العشرين. حيث أثرت السيطرة الاستعمارية والهيمنة والصهيونية على الكثير من التشريعات والمفاهيم للسيطرة على اثارها وحرف مضامينها. فشرعنت التشريعات والاوامر تربط بين الوقوف ضد الاحتلال الاسرائيلي بإنه عمل ضد "السامية". او توفير صمام امان لقوى العدوان.. ومنها حق "الفيتو". اذ صدر منذ عام ١٩٤٥ حتى (٤) حزيران ٢٠٢٥ (٢٨١) قرار نقض. مما عطل مبدأ "العدالة الدولية وحق الشعوب في تقرير مصيرها". ناهيك عن وسائل الضغط السياسية والعسكرية والاعلامية والاقتصادية التي تمارسها القوى الاستعمارية للتأثير على القرارات الدولية وتجميد ما يسمى بـ"العدالة الدولية". واخرها وليس اخيرها فرض تهديدات وعقوبات على القضاة في محكمة العدل الدولية او المحكمة الدولية للجنايات، والمقررة الاممية لحقوق الانسان في الاراضي الفلسطينية السيدة "فرانشيسكا البانيز" لبياناتها الموضوعية والحيادية حول عمليات الابادة الجماعية والتجويع في غزة والاراضي المحتلة. والكثير من الحالات الاخرى. التي دفعت بالكثير من الدول والمنظمات والشخصيات القانونية لتجاوز مفاهيم المرحلة الاستعمارية والانتقال الى مشروعيات اكثر انصافاً وعدالة. وهذه إشارات لبعضها.

١- معيار "العدالة الاصلاحية المستدامة" لا "الشرعية الشكلية المؤقتة": فالقانون الدولي التقليدي صُمم بعد الحرب العالمية الثانية بقيادة دول استعمارية فاحتفظت فيه بمفاهيم واجراءات تحمي مصالحها في نهاية المطاف. لهذا تنادت حكومات ومؤسسات ومشرعين للتركيز على تسويات مستدامة وجذرية وليس اجراءات شكلية. كتعويض الضحايا، والاعتراف بجرائم الماضي، واعادة توزيع السلطة والموارد. ومثالها الابرز رفض "لجنة الحقيقة والمصالحة" بقيادة القس "ديزموند توتو" كبير اساقفة جنوب افريقيا، معايير الشرعية الدولية الشكلية المجردة، واعتبرت مقاومة الفصل العنصري بما فيها رفع السلاح "حقاً اخلاقياً" يتجاوز الاطر القانونية الاستعمارية.

٢ـ مبدأ "سيادة الشعوب" فوق "سيادة الدول": اذ يركز القانون الدولي المعروف على سيادة الدول وفق ميثاق الامم المتحدة وفق المادة (٢). وهو مفهوم استخدم لتبرير احتلال الشعوب الاخرى. مثل فرنسا في احتلالها الجزائر باعتبارها كانت حسب الرؤية الفرنسية جزءاً من الجمهورية الفرنسية. فجاء إعلان الجزائر (١٩٧٦) عن "حركات التحرر العالمية" لاعتبار سيادة الشعب اساس شرعية الدولة. فاذا خانته الدولة يحق للشعب مقاومتها، او اتباع نهج يخالفها. وهو ما يتماشى مع الاطروحة التي طرحها المرحوم اية الله محمد مهدي شمس الدين حول "ضرورات الانظمة و"خيارات الشعوب". فالشعوب تحترم "ضرورات الأنظمة"، لكن إن عطلت الانظمة "خيارات الشعوب" فالأولوية تبقى للشعوب لا للانظمة.

٣- نقد "الحياد الزائف" في القانون الانساني: فهناك في اتفاقيات جنيف بعض المواد التي تفرض "حياداً" بين المحتل والمقاوم، بينما ميز اعلان القاهرة (١٩٩٠) في "القانون الدولي الانساني الإسلامي" بين "عنف مقاوم" مشروع بشرطه وشروطه، و"عنف محتل" غير مشروع في كل الاحوال. وورد فيه ان "مقاومة المستعمر ليست حرباً بل دفاع عن الوجود"

٤ـ إعادة تعريف "الارهاب" بعيداً عن التسييس: فالمفاهيم التي يعمل بها الغرب عن الارهاب قد شوه مقاومة الاحتلال، كالاحتلال الاسرائيلي لفلسطين وبقية الاراضي المحتلة. لهذا رأينا تصدياً لهذا التشويه في "محكمة راسل الدولية (١٩٦٧) حول فيتنام. التي عدت أن "العنف الثوري ضد قوات الاحتلال ليس إرهاباً، بل دفاع جماعي عن النفس". كذلك ميزت "وثيقة جنيف لمقاومة الاحتلال" (٢٠٠٣) بين "مقاومة نظام قمعي واعتبرته "حقاً طبيعياً"، واعتبرت "العنف العشوائي جريمة". وكشفت احداث سوريا، كيف تتلاعب الدول المستعمرة بمفاهيم الارهاب. فتطلق تهمة من يخالفها ويعاديها بالارهاب. وتفرض عليه العقوبات، بينما تبرىء وتتعايش وتتعاون مع منظمات ارهابية سبق لها أن ادانتها بمجرد تعاون تلك المنظمات مع القوى المهيمنة والاستعمارية.

٥- الشرعية الاخلاقية المستمدة من "القانون الطبيعي": يصبح اللجوء لمبادىء أعلى ضرورة، عندما يحمي القانون الدولي بعض الدول المستعمرة كاستخدام حق الفيتو ليحرم الشرعية عن خيارات الشعوب. فـ"تصبح مقاومة المستعمَر ليست خياراً، بل ضرورة بيولوجية للبقاء" حسب "فرانتز فانون"، الفرنسي/الجزائري في مؤلفه الشهير "المضطهدون في الأرض". او كحركة "اللاعنف لغاندي" التي وقفت ضد "قوانين" الاستعمار البريطاني للهند باستخدام اخلاقيات مقاطعة الظلم.

ففي النهاية فان "القانون الدولي" رغم انه يعطي الشرعية الدولية للدول والشعوب لممارسة المقاومة بما فيها المسلحة بشرطها وشروطها المتفق عليها خصوصاً استنفاد الحلول السلمية وعدم استهداف المواطنين، لكن "القانون الدولي ليس وحياً مُنزلاً، بل تراكم بشري قابل للتشويه والتصحيح".

جاك ما

ايران ومكانتها في التحالفات الجديدة

٢٠٢٥/٦/٢٤

و

إيران تعيد تشكيل الشرق الأوسط والعالم

٢٠٢٥/٧/٢٧

ايران ومكانتها في التحالفات الجديدة

إن إيران ليست غريبة على العزلة الجيوسياسية. لقد واجهت إيران على مدى عقود من الزمن عقوبات اقتصادية، وتجاهلاً دبلوماسياً، وتهديدات بعمل عسكري. لكن ما لا يدركه كثيرون هو أن العزلة تولد الإبداع. والضرورة تجبر على الاستراتيجية.

تحت السطح، كانت إيران تعمل بهدوء على إعادة تشكيل نفوذها العالمي، ليس من خلال المعاهدات المفتوحة أو القمم الكبرى، ولكن من خلال شبكة من الشراكات الاستراتيجية الصامتة. هذه ليست تحالفات مخصصة لأخبار المساء. إن هذه العلاقات تتشكل في ظلال تولدت من الحاجة المتبادلة، والمقاومة المشتركة، والرغبة في تحدي النظام العالمي الذي يهيمن عليه النفوذ الغربي منذ فترة طويلة. وتمتد هذه الشراكات إلى ما هو أبعد ممن اعتادوا الاشتباه بهم. إن الارتباطات بين إيران وقوى مثل روسيا والصين موثقة جيداً، ولكنها لا تزال غير مفهومة إلى حد كبير. وهذه ليست مجرد مجاملات دبلوماسية. إنها طبقات من التعاون العسكري والاقتصادي والتكنولوجي التي تمتد إلى ما هو أعمق بكثير مما قد يتصوره المراقبون العاديون.

ايران وتحالفاتها المقاومة ضد الهيمنة

على سبيل المثال، تشترك روسيا وإيران في أكثر من مجرد مصلحة إقليمية في سوريا.

إنهم يتبادلون التكنولوجيا العسكرية، واستراتيجيات الطاقة، وهدف مشترك يتمثل في موازنة الوجود الأمريكي في مناطق نفوذهم.

من ناحية أخرى، تنظر الصين إلى إيران باعتبارها عقدة أساسية في «مبادرة الحزام والطريق».

حيث تضخ مليارات الدولارات في مشاريع البنية التحتية والطاقة، بينما تعمل بهدوء على تأمين موطئ قدم لها في الشرق الأوسط.

لكن المفاجأة الحقيقية تكمن في الشراكات الأقل شهرة. مثل، فنزويلا.

وهي دولة أخرى تقع تحت وطأة العقوبات، قامت بتبادل الوقود والمعلومات الاستخباراتية والخبرة الاقتصادية مع إيران.

كذلك حافظت كوريا الشمالية، التي كثيراً ما يتم اعتبارها بمثابة ورقة رابحة مارقة، على حوارات عسكرية مع طهران منذ فترة طويلة،

مع همسات حول تقنيات صاروخية ونووية مشتركة تطفو خلف دوائر استخباراتية مغلقة.

ورحبت الدول الأفريقية

التي تبحث عن مستثمرين خارج القوى الغربية التقليدية ببرامج التنمية والتدريب الأمني الإيرانية.

وتشهد منطقة جنوب شرق آسيا شكلاً أكثر هدوءاً من النفوذ الإيراني،

وهو النفوذ الذي يمر عبر الموانئ وطرق النفط والتبادلات السياسية التي نادراً ما تغطيها وسائل الإعلام الرئيسية.

إن ما يربط كل هذه الروابط ليس السياسة فحسب. إنها مقاومة مشتركة. وهذه هي الدول التي رفضها النظام العالمي الذي يقوده الغرب إلى حد ما. إن تحالفهم مع إيران لا يقوم دائماً على الصداقة بل على الضرورة. والضرورة أكثر من أي شيء آخر هي التي تدفع إلى الولاء في أوقات النضال. لقد استخدمت إيران هذا المبدأ ببراعة من خلال تحديد البلدان التي تعاني من جروح مماثلة وتقديم ما لا يمكنها الحصول عليه بسهولة من مكان آخر. الوقود، والأسلحة، والبنية التحتية، وأنظمة المراقبة الرقمية أو ببساطة التضامن. وتعمل شبكة النفوذ الجديدة هذه بموجب كتاب قواعد مختلف. لا توجد شعارات رسمية، ولا مؤتمرات صحفية، ولا تصريحات. إنه هادئ، لكنه حقيقي وينمو.

لا تسعى إيران إلى أن تصبح قوة عظمى عالمية بالوسائل التقليدية. إنه سعي يبني تأثيره مثل العنكبوت الذي ينسج شبكته ليس لكي يُرى، بل لكي يُشعر به عندما يصبح الأوان قد فات لتحريره. لسنوات عديدة، **كان العالم يعتقد أن إيران معزولة. ولكن العزلة ليست غيابًا. إنه التحضير.** ولقد استغلت إيران وقتها الهامشي بحكمة للوصول إلى أهدافها. بناء الجسور التي لم يلاحظها أحد، ورعاية التحالفات التي لا تعلن عن نفسها إلا في اللحظة المناسبة. ربما تأتي تلك اللحظة.

وعندما يحدث هذا، فلن يكون العالم مجبراً على التعامل مع دولة واحدة تتصرف بمفردها. إنها ستواجه تحالفاً من العناصر غير المرئية التي ولدت في صمت وتتحرك في انسجام وترتبط بهدف مشترك يتمثل في إعادة تشكيل توازن القوى. خطوة بخطوة في مسرح السياسة العالمية. ما تراه نادرًا ما يكون كل ما هو موجود. في حين تسلط دورات وسائل الإعلام الضوء على التصريحات الصاخبة والاجتماعات المتلفزة، فإن اللعبة الحقيقية تُلعب في كثير من الأحيان خلف الأبواب المغلقة، وفي القنوات المشفرة، وعلى ساحات القتال التي لا يتحدث عنها أحد. لقد أدركت إيران هذا الأمر منذ زمن طويل. إنها تعلم أنه من أجل البقاء والمقاومة والتأثير في نهاية المطاف، يتعين عليها أن تعمل في الظل حيث يكون الاهتمام نادرًا ولكن التأثير هائل. يكشف السلوك الاستراتيجي لإيران على مدى العقد الماضي عن نهج مدروس ومتعدد الطبقات لإبراز القوة. ولم تعد طهران تعتمد فقط على أساليب الحكم التقليدية، بل تكيفت مع عالم حاول احتواء هذه الأساليب، واختارت بدلاً من ذلك تشكيل نفوذه من خلال قنوات غير تقليدية وغير مرئية في كثير من الأحيان. ومن بين أقوى أدواتها كانت عدم التماثل. القيام بالمزيد بموارد أقل، واستخدام النفوذ حيث يرى الآخرون الضعف. ويكمن أحد الأمثلة البارزة على ذلك في استراتيجيتها العسكرية. وبدلاً من حشد الأساطيل المرئية أو الجيوش الضخمة، ضاعفت إيران جهودها على حلفائها وقواهم المسلحة وشبكات النفوذ الإقليمية. إن جماعات مثل حزب الله في لبنان، والحوثيين في اليمن، والقوى الشيعية المختلفة في العراق وسوريا ليست مجرد حلفاء أيديولوجيين. إنهم من أدوات السياسة الخارجية الإيرانية. وتمنح هذه المجموعات إيران عمقاً استراتيجياً، مما يسمح لها بضرب الخصوم أو الضغط عليهم بطريقة غير مباشرة مع الحفاظ على القدرة على الإنكار. ومن خلال هؤلاء الحلفاء، وسعت إيران نفوذها عبر الحدود دون رفع أعلام من شأنها إثارة المواجهة المباشرة.

وفي الوقت نفسه، أصبحت الحرب الإلكترونية جبهة صامتة أخرى. استهدفت وحدات الإنترنت الإيرانية، التي تعمل في كثير من الأحيان تحت إشراف قوة الحرس الثوري الإسلامي أو فروع غامضة أخرى، البنية التحتية والأنظمة المالية وحتى الحكومات الأجنبية. إن عملياتهم الرقمية ليست دائمًا متقدمة من الناحية التقنية مثل تلك الموجودة في الدول الأكثر مواردًا مثل الصين أو الولايات المتحدة، ولكنها فعالة ومستمرة ومركزة استراتيجيًا. إنها بمثابة وسيلة للتخريب وجمع المعلومات الاستخباراتية والحرب النفسية، وكل ذلك يتم تنفيذه دون إطلاق صاروخ واحد.

وعلى الجانب الاقتصادي، أصبحت إيران خبيرة في التهرب من العقوبات من خلال شبكة معقدة من الشركات الواجهة، وشبكات التمويل الخلفية، وعمليات تهريب النفط. وتستمر في تمويل اقتصادها المحلي وأنشطتها الخارجية. وتوفر دول مثل الصين وروسيا شرايين حياة حيوية.

لكن إيران لجأت أيضًا إلى العملات المشفرة وأنظمة المقايضة والاتفاقيات التجارية تحت الطاولة. وحتى في مواجهة العقوبات الأمريكية الساحقة، فقد تمكنت إيران من الحفاظ على تدفق الصادرات الأساسية، وانتقال الأموال، وشرايينها الاقتصادية على قيد الحياة. وأصبح نقل التكنولوجيا أيضًا عنصرًا حاسمًا في استراتيجيتها الهادئة. ورغم الحظر، تمكنت إيران من تحقيق تقدم كبير في تكنولوجيا الطائرات بدون طيار، والصواريخ الباليستية، وحتى تخصيب اليورانيوم. وأصبحت طائراتها بدون طيار، التي تم اختبارها الآن في معارك متعددة في مناطق الصراع، أداة فعالة من حيث التكلفة. سواء للمراقبة أو للعمليات الهجومية. ولم تتم هذه التطورات بمعزل عن غيرها. ومن المرجح أن تكون إيران قد شاركت وحصلت على المعرفة التقنية من حلفائها مثل روسيا وكوريا الشمالية، مما أدى إلى تشكيل نظام بيئي سري للنمو العسكري.

إن ما يجعل التحركات الاستراتيجية الإيرانية ذات أهمية كبيرة هو دقتها. نادرًا ما يكون صوتهم مرتفعًا أو فوريًا. ولكن هذه العقوبات ليست بالضرورة عقوبات تدريجية أو تراكمية. وهي مصممة لتجنب إثارة الانتقام المباشر مع الاستمرار في تغيير توازن القوى. إن هذه الطريقة للتصعيد الهادئ هي مقامرة محسوبة، وهي تسمح لإيران بتجاوز الحدود دون كسر النظام العالمي الذي لا يزال يعيقها بشكل طفيف.

وربما يكون الأمر الأكثر أهمية هو أن القيادة الإيرانية تتمتع بالصبر. على النقيض من السياسة قصيرة الأمد التي تعتمد على الانتخابات في الغرب، فإن النخبة الحاكمة في إيران تلعب لعبة طويلة الأمد. إن استراتيجياتهم يتم قياسها بالعقود، وليس بالعناوين الرئيسية. إنهم يعرفون كيفية التحمل. إنهم يعرفون كيفية الانتظار. وبينما قد يركز العالم على طموحات إيران النووية المعلنة أو خطاباتها التحريضية، فإن العمل الحقيقي يجري في مكان آخر. في غرف الحرب بدون نوافذ، وفي الشيفرة المكتوبة بأصابع غير مرئية، وفي الصفقات التي تتم بدون توقيعات. إنها مباراة شطرنج بطيئة ومتعمدة. ولقد أصبحت إيران، التي تم التقليل من شأنها لفترة طويلة، واحدة من أكثر اللاعبين هدوءا ولكنهم الأكثر استراتيجية على الساحة.

إن النظام العالمي، كما نعلم، يعتمد منذ فترة طويلة على توازن دقيق، حيث تتركز القوة في أيدي عدد قليل من الدول المهيمنة، ويتم كتابة القواعد من قبل أولئك الذين انتصروا في الحروب الماضية. على مدى عقود من الزمن، كان الغرب، بقيادة الولايات المتحدة وحلفائها في المقام الأول، هو الذي يفرض شروط الدبلوماسية والتجارة والأمن.

لكن ظهور التحالفات السرية لإيران يشير إلى أمر أعمق من المناورات التكتيكية. وهو يشير إلى تحول متزايد في هذا التوازن. لم يعد الأمر يتعلق فقط بالتأثير الإقليمي. إن الأمر يتعلق بإعادة تنظيم العالم. إن إيران لا تتصرف بمعزل عن غيرها. وتعكس شراكاتها الصامتة اتجاها أوسع نطاقا، وهو عبارة عن مقاومة جماعية للنموذج الغربي المركزي للحوكمة العالمية. إن الدول التي كانت تتبع القواعد في الماضي أصبحت الآن تشكك فيها. البلدان التي ظلت في السابق على الحياد أصبحت تختار الجانب الهادئ. إن مراكز القوة التقليدية لا تواجه التحديات دائماً من خلال المواجهة العلنية، بل من خلال هياكل بديلة تتشكل بهدوء تحت السطح. وتشكل العلاقات القوية بين إيران وروسيا والصين عنصرا أساسيا في هذا التحول.

إن روسيا، التي تخوض صراعاً مع حلف شمال الأطلسي، ولديها مصالح مشتركة وتواجه عقوباتها الخاصة، ترى في إيران شريكاً حيوياً لها. إنهم يتعاونون معًا استراتيجيًا واقتصاديًا في سوريا، ويتشاركون تكنولوجيا الأسلحة، ويتعاونون في مجال الطاقة الذي يتجاوز الرقابة الغربية. ومن ناحية أخرى، ليس لدى الصين أي رغبة في فرض القيم الغربية. إن اهتمامها بإيران ينبع من استراتيجيتها طويلة الأمد، والوصول إلى النفط، وطرق التجارة، ووجود شريك مخلص على طول «مبادرة الحزام والطريق». إن اتفاقية التعاون التي تمتد لـ (٢٥) عامًا هي أكثر من مجرد أوراق.

إنها رمز لتحويل ممرات القوة من واشنطن إلى بكين. لكن شبكة إيران تتجاوز هذه الشركات العملاقة. وبينما تعمل العقوبات الغربية على عزل دول مثل فنزويلا وكوريا الشمالية وأجزاء من العالم النامي، تعمل إيران على وضع نفسها كشريك بديل. إنه يقدم الوقود عندما لا يقوم أحد آخر بذلك. وتقدم التدريب العسكري عندما تؤدي سياسات الحظر إلى قطع الإمدادات. وتقدم التضامن الدبلوماسي عندما يدير العالم ظهره لها. إن هذه الأفعال لا تؤدي إلى بناء النوايا الحسنة فحسب. إنهم يبنون النفوذ.

التأثير الذي يمكن الاستعانة به في أوقات الأزمات، وفي التصويت في الأمم المتحدة، وفي الصراعات الإقليمية، وفي تشكيل السردية العالمية الجديدة. ولكن هذا التوازن الجديد ليس واضحا دائما لأنه لا يتبع نص الدبلوماسية التقليدية. إن هذا يحدث من خلال قنوات خلفية، في صفقات الطاقة التي تتم من دون دولارات، وفي التدريبات العسكرية التي تجري من دون مراقبين غربيين، وفي عمليات نقل التكنولوجيا التي تمر دون الإبلاغ عنها.

في حين يركز العالم على التحالفات الرسمية مثل حلف شمال الأطلسي. لهذا تنشأ شبكة ثانية أكثر مرونة، وأكثر هدوءا، ولكنها ليست أقل قوة. وأصبحت إيران بمثابة عقدة مركزية في هذه الشبكة. وربما لا تكون النتيجة الأكثر عمقا لهذا التحول هي الحرب الفورية أو الإعلان الدرامي عنها. وربما يكون السبب هو التآكل البطيء لقدرة الغرب على إملاء شروطه. وبينما تعمل إيران وحلفاؤها على خلق طرق بديلة للتجارة والدفاع والوحدة السياسية، فإنهم بذلك يقللون من اعتمادهم على الأنظمة الغربية.

على سبيل المثال، تواجه هيمنة الدولار في تجارة النفط تحديًا من خلال الصفقات التي تتم باليوان والروبل والعملات المشفرة.

إن العقوبات الغربية تفقد بعض أنيابها عندما تجد الدول طرقاً للعمل خارج نطاقها. وتبدأ الصورة حول من يقود العالم تتغير، ليس من خلال القوة، ولكن من خلال الاستقلال الاستراتيجي البطيء. وعلى هذا النحو، فإن التحالفات السرية لإيران أصبحت أكثر من مجرد مسألة بقاء وطني. إنهم جزء من موجة أكبر، وهي موجة إعادة تنظيم، حيث تصبح القوة موزعة بشكل أكثر توازناً. حيث تنشأ مراكز نفوذ متعددة، وحيث لم يعد مستقبل العالم يكتبه عدد قليل من الناس. إن هذا التحول دقيق ولكنه زلزالي، وبمجرد وصوله إلى السطح، قد يجد العالم أنه لم يعد يقف على نفس الأساس الذي كان يعتقد في السابق أنه لا يتزعزع.

عندما يتم تمديد التوتر لفترة كافية وبعرض كافٍ فإنه ينكسر في النهاية. وينطبق الأمر نفسه على السياسة العالمية. على مدى سنوات، ازدادت تحالفات إيران السرية وتحركاتها الاستراتيجية وشبكاتها الخفية قوة وتعقيدا. إن كل صفقة هادئة، وكل مصافحة صامتة، قد جعلت العالم أقرب خطوة إلى نقطة التحول. والآن، مع نضوج هذه التحالفات وتعمق الانقسامات العالمية، يجد العالم نفسه يتجه ببطء نحو تصادم من شأنه أن يرسل موجات صدمة عبر القارات.

القطع موجودة بالفعل في مكانها. لقد بدأ البناء. ما سيحدث بعد ذلك لم يعد مسألة ما إذا كان سيحدث، بل مسألة متى سيحدث. إن الترقب لا يكمن في طموحات إيران فحسب، بل في التقارب بين العوامل العالمية التي تعمل على تضخيم تلك الطموحات. تواجه الولايات المتحدة وضعا صعبا، إذ تواجه توترات جيوسياسية متعددة في أوروبا ومنطقة المحيطين الهندي والهادئ. يبدو حلف شمال الأطلسي موحداً على السطح، لكنه يعاني من ضغوط داخلية بسبب الاختلافات السياسية، والإرهاق الاقتصادي، وصعود النزعة القومية في الدول الأعضاء. وفي الوقت نفسه، تعمل الصراعات في أوروبا الشرقية، وعدم الاستقرار المتزايد في أجزاء من أفريقيا، والاضطرابات في جنوب شرق آسيا على تشتيت انتباه العالم وموارده. وفي هذا الفراغ، بدأت تصرفات إيران، التي كانت تعتبر إقليمية في السابق، تكتسب أهمية عالمية. ولم تعد تحالفاتها خاملة. روسيا تتحدى الهياكل الغربية بشكل علني. وتعمل الصين بشكل مطرد على بناء نظامها العالمي الخاص من خلال الإكراه الاقتصادي والهيمنة التكنولوجية.

إذا قررت إيران التصرف بجرأة أكبر، سواء من خلال الاشتباك العسكري المباشر، أو التصعيد المفاجئ في مضيق هرمز، أو خرق العتبة النووية، فلن تتحرك بمفردها. وسوف يقوم حلفاؤها إما بدعمها عمليا أو بحمايتها دبلوماسيا واقتصاديا وعسكريا. إن هذا الدعم الجماعي يغير الرهانات. لن يواجه العالم أمة وحيدة. وسوف تواجه تحديًا منسقًا للنظام العالمي القائم. والجزء الأكثر إثارة للمجهول في هذا الأمر هو أن نقطة الاشتعال قد تأتي من شيء يبدو صغيرا. ضربة بطائرة بدون طيار ذهبت بعيدا جدا. ناقلة نفط تم ضبطها في المياه المتنازع عليها. ميليشيا بالوكالة تشن هجومًا يتجاوز الحدود.

في لحظات كهذه، يتغير العالم بسرعة. تتصاعد الضغوط الدبلوماسية. تتغير المواقف العسكرية. العقوبات الاقتصادية تؤدي إلى عقوبات مضادة. وبعد ذلك، ما كان يبدو في السابق أمراً لا يمكن تصوره، يصبح حقيقة. شرارة إقليمية تشعل ناراً عالمية. وإيران، التي تدرك هذا، تلعب اللعبة بقدر كبير من الصبر والدقة. قيادتها تفهم التصعيد. فهي تفهم إلى أي مدى يجب الدفع ومتى يجب التوقف. لكن التحالفات تغير المعادلة. وبفضل الدعم الذي تتلقاه من الدول الأخرى التي تشاركها نفس المظالم والأهداف، تكتسب إيران الثقة. إنها تشعر بأنها أقل عزلة، وأكثر حماية، وأكثر استعدادًا لاختبار الحدود التي تم تجنبها بعناية في السابق. وهنا يصبح الاصطدام محتملاً، ليس لأن إيران أخطأت في حساباتها، بل لأنها تحسب أن العالم لن يوقفها أو لا يستطيع إيقافها. وعندما تأتي تلك اللحظة، فلن تكون مجرد أزمة في الشرق الأوسط. أسواق النفط ستنهار. سيتم إغلاق طرق التجارة. سيتم اختبار التحالفات. ستعقد الأمم المتحدة جلسات طارئة في الوقت الذي تسعى فيه الدول جاهدة لاحتواء التداعيات. ولكن بحلول ذلك الوقت ربما يكون هيكل السياسة العالمية قد تغير بالفعل. إن صعود إيران المدعوم بشراكات غير مرئية واستراتيجية بطيئة الاحتراق لن يظل بعد الآن مصدر قلق خلف الكواليس. وستكون هذه القصة المحورية لعالم يستيقظ متأخراً جداً. وهكذا فإن الصدمة لا تكمن فقط في انفجار الأحداث التي قد تليها. لقد أدركت أن الأساس تم وضعه أمام أعيننا.

من الواضح أن الحشد العسكري تم تجاهله، وأن التحذيرات تم رفضها باعتبارها ضجيجًا بعيدًا، ولكن التاريخ لا يتوقف في كثير من الأحيان على التصريحات الصاخبة، بل على الهمسات التي تتم في الظل. وتزداد أصداء التحالفات السرية لإيران قوة يوما بعد يوم.

الاصطدام قادم. وعندما يحدث هذا، فقد يجد العالم نفسه لا يواجه أزمة جديدة، بل واقعاً جديداً. واحدة لم يتم تشكيلها من قِبل الأقوياء الذين حكموا من قبل، ولكن من قِبل أولئك الذين عملوا في صمت. على مدى سنوات، كان المجتمع الدولي يراقب إيران بعين متعبة، ويتابع تقدمها النووي، وتورطها في الصراعات الإقليمية، وتحديها العلني لهياكل القوة الغربية. ولكن ما فشل كثيرون في فهمه هو أن إيران لم تكن تقاوم فحسب، بل كانت تستعد. لقد تم تشكيل كل تحالف، وتم عقد كل صفقة في سرية تامة، ولم تكن كل مناورة تمت تحت الرادار مجرد رد فعل. لقد كانت خطوة نحو شيء أكبر. والآن أصبحت كل القطع في مكانها تقريبا، والعالم يقف على حافة لحظة لم يتوقعها أبدا. الصدمة لن تأتي من نوايا إيران. لقد كانت هذه الأمور واضحة دائمًا. الصدمة ستأتي من كمية ما تم إنجازه بالفعل في صمت.

اعتقد العالم أن لديه الوقت. حان وقت الضغط، حان وقت التفاوض، حان وقت الانتظار. لكن إيران استغلت ذلك الوقت بطريقة مختلفة. درس النظام الذي سعى إلى احتوائه. لقد تعلمت نقاط ضعفها. إن العولمة الاقتصادية تعتمد بشكل كبير على طرق تجارية محددة، والانقسامات الدبلوماسية بين الحلفاء، والتعب العام من الحروب التي لا تنتهي، وانشغال القوى العظمى بملاحقة الأزمات المتعددة. لم تكن إيران بحاجة إلى القتال وجهاً لوجه. لم يكن هناك حاجة إلا إلى الانتظار حتى يصبح النظام متوتراً بما يكفي ليتمكن من التحرك. وبينما تراكمت العقوبات، نجحت إيران في بناء قدرتها على الصمود. في الوقت الذي كانت تُطلق ضدها التهديدات، كانت إيران تبني نفوذها. لقد أقامت علاقات مع دول مثلها تم دفعها إلى الدول الهامشية الراغبة في الانخراط في تعاون هادئ من أجل البقاء أو التحدي أو الطموح. ولم يكن هذا تحالفاً بين الأيديولوجيات. لقد كان تحالفاً للمصالح، والمصلحة أكثر من أي شيء آخر هي التي تحرك العمل الدولي.

وقد تقاربت هذه المصالح خلف الأبواب المغلقة، وفي القنوات الخلفية، ومن خلال صفقات لم تصل قط إلى الصفحات الأولى. لكنها كانت حقيقية، وهي الآن جاهزة. وسوف يصدم العالم ليس فقط بما تفعله إيران، بل أيضا بمدى استعدادها للقيام بذلك. وهذه دولة استثمرت بشكل كبير في القدرات السيبرانية، وتكنولوجيا الصواريخ، وشبكات الحلفاء الإقليمية . وقد تعمقت شراكاتها مع روسيا والصين إلى ما هو أبعد من الدبلوماسية لتشمل العمليات المشتركة، وتبادل المعلومات الاستخباراتية، والمقاومة المنسقة لنفوذ الولايات المتحدة في أميركا اللاتينية، وأفريقيا، وأجزاء من آسيا. لقد بنت إيران علاقات هادئة يمكن تفعيلها عند الحاجة، ليس بالجيوش، بل بالخدمات اللوجستية، والغطاء، والقوة الناعمة.

في يوم من الأيام، سوف يحدث حدث يؤدي إلى الكشف عن هذه الشبكات. ربما يكون ذلك تقدما مفاجئا في البرنامج النووي الإيراني. ربما يكون نقطة اشتعال في مضيق «هرمز». ربما يكون ذلك مواجهة بين إسرائيل وإيران، وقد تذهب إلى أبعد من ذلك. ولكن عندما يأتي هذا الحدث، فإن إيران لن تسارع إلى الرد. سيتم تنفيذ خطة تم إعدادها منذ سنوات. وسوف يبحث العالم عن علامات الذعر وسيجد بدلا من ذلك استجابة منسقة. الحلفاء يصدرون بيانات دفاعية عنها. شركاء التجارة يرفضون الامتثال للعقوبات. قوات بالوكالة تنشط في مختلف المناطق. جوقة من الدعم حيث لم يتوقع الغرب سوى الصمت. وهذه هي اللحظة التي ستصل فيها الصدمة.

ليس في الفعل نفسه. ولكن في إدراك حقيقة مفادها أن إيران ليست وحدها، وأنها لم تكن كذلك حقاً قط، وأن الهياكل المصممة لعزلها وردعها لم تعد فعالة كما كان يُعتقد في السابق. لقد تغيرت اللعبة. لقد تغير اللاعبون ولم تعد القواعد مكتوبة من قبل طرف واحد فقط. وهذا ليس مجرد تحول في السلطة. إنه تحول في الإدراك. وسوف يرى العالم إيران ليس باعتبارها الدولة الخارجية المتمردة، بل باعتبارها شخصية محورية في النظام العالمي الجديد. حيث يهزم التحضير الهادئ التحذيرات الصاخبة، وحيث يمكن للصمت المستخدم بحكمة أن يشكل المستقبل بشكل أقوى من أي تهديد. بحلول الوقت الذي يفهم فيه العالم ما حدث، فلن يكون قادرًا على التراجع عنه. التحالفات سوف تكون نشطة بالفعل. سيتم اتخاذ الخطوات بالفعل. ولن تكون الصدمة بعد الآن بسبب تصرفات إيران، بل بسبب قلة ما فعل أي أحد لوقفها قبل فوات الأوان. لا تأتي القوة دائمًا مع هدير الدبابات أو وميض الصواريخ. في بعض الأحيان يأتي ذلك بهدوء من خلال التأثير، ومن خلال المثابرة، ومن خلال القدرة على إعادة تشكيل السرديات دون أن يحتل مركز الصدارة على الإطلاق. لقد أدركت إيران هذا المبدأ منذ زمن طويل. لم تكن أبدًا أقوى دولة في العالم من حيث الحجم أو الاقتصاد أو التكنولوجيا. لكنها أتقنت شيئًا أكثر ديمومة، وهو فن الصبر. وفي هذا الصبر يكمن نوع أعمق من القوة، وهي القوة التي قد تعيد تعريف مكانها في العالم قريبًا وتصدم أولئك الذين قللوا من شأنها.

في حين ركزت أجزاء كبيرة من المجتمع الدولي على المكاسب السريعة والسياسات قصيرة الأجل. لعبت إيران اللعبة الطويلة، ولم تتغير قيادتها مع دورات الانتخابات أو تخضع للضغوط الأجنبية. وبدلاً من ذلك، ظلت ثابتة في رؤيتها، المقاومة، والتكيف، والاستعداد. إن النظام السياسي في إيران، على الرغم من نواقصه، قد وفر الاستمرارية في الاستراتيجية، وهي ميزة نادرة في عالم يتحول باستمرار بين الإدارات والأيديولوجيات.

وقد سمح هذا الثبات لإيران ببناء طبقة فوق طبقة من النفوذ، لبنة تلو الأخرى، على مدى عقود من الزمن. وبدلاً من مواجهة خصومها بشكل مباشر، اختارت إيران التأثير على الأحداث من الأطراف. لقد نجحت ايران في بناء شبكات بدلاً من الإمبراطوريات، وتحالفات بدلاً من الاحتلالات، وقد فعلت ذلك بنوع من العزيمة الهادئة التي لم يأخذها سوى قلة من الناس في الغرب على محمل الجد حتى الآن. لقد تم قياس كل حركة، وحساب كل رد فعل. سواء في لبنان أو العراق أو سوريا أو اليمن. وسّعت إيران نطاق نفوذها ليس بالقوة وحدها، بل من خلال دمج نفسها في الهياكل السياسية والدينية والعسكرية لهذه المجتمعات.

هذا النوع من التأثير لا يتلاشى بسهولة. ويصبح جزءًا من نسيج الأمم. وفي الوقت نفسه، كانت إيران تراقب العالم. لقد شهدت الأزمة المالية العالمية تصدعات في التحالفات الغربية، والإرهاق المتزايد بسبب الحروب التي لا تنتهي، والضعف الاقتصادي الناجم عن الاعتماد المفرط على الأنظمة المركزية. وانتظرت. وانتظرت بينما حاولت العقوبات خنق اقتصادها.

لقد انتظرت بينما تم إطلاق التهديدات، ورسمت الخطوط، وتجاوزت الخطوط الحمراء. لكن مع مرور كل عام، أصبحت إيران أكثر قدرة على الصمود. لقد تعلمت كيفية العمل تحت الضغط. لقد تعلمت البقاء على قيد الحياة دون إذن. وبذلك، أصبحت أقوى مما كان متوقعًا على الإطلاق. ويبدو الآن أن هذا الصبر يؤتي ثماره. لقد أثبتت تحالفات إيران، التي كانت تعتبر في السابق هشة وانتهازية، أنها متينة واستراتيجية. وتتم الآن دراسة تكتيكاتها الاقتصادية، التي كانت في السابق موضع سخرية باعتبارها دليلاً على اليأس، باعتبارها نماذج للمقاومة. إن شبكاتها الوكيلة، التي كانت تعتبر في السابق غير مستقرة، أصبحت الآن جزءًا من مناطق بأكملها. البلد الذي كان من المفترض أن ينهار تحت الضغوط، أصبح بدلاً من ذلك مهندساً لنظام بديل. وسرعان ما قد يضطر العالم إلى مواجهة هذه الحقيقة غير المتوقعة. لم تعد إيران مجرد رد فعل على الأحداث العالمية. إنها تشكلها. إن الصدمة إذن لن تأتي بإعلان مفاجئ أو بحدث واحد.

وسوف يأتي ذلك عندما ندرك أن العالم يتحرك إلى الأمام، بينما تتحرك إيران إلى العمق. في حين غيّر الآخرون مسارهم، بقيت هي مركزة. وبينما كان النظام العالمي يفترض أن هيمنته لا يمكن تحديها، استعدت إيران بهدوء لإعادة كتابة السيناريو. وهذه ليست حربًا جديدة تنتظر أن تبدأ. إنها حقيقة جديدة تنتظر الاعتراف بها. وعندما تتحقق، فلن يكون الأمر أشبه بغزو. سوف تشعر وكأن الأرض نفسها قد تحركت. لأن ما فعل ذلك، ليس القوة، ولا الضجيج، بل بالصبر، والدقة، والمثابرة. وعندما تأتي تلك اللحظة ، فإن السؤال لن يكون كيف فعلت إيران ذلك. السؤال الآن هو كيف فشل الكثيرون في رؤية حدوث هذا طوال الوقت.

إيران تعيد تشكيل الشرق الأوسط والعالم

بعض التغييرات تحدث بضجيج، وأخرى تبدأ بصمت ثم تُعيد رسم الخريطة. تُجهز إيران الآن لخطوة لن تُزعج جيرانها فحسب، بل ستُعيد رسم مستقبل الشرق الأوسط بأكمله.

معظم العالم ينظر في الاتجاه الخاطئ. إنهم يراقبون التدريبات العسكرية والاحتجاجات والعقوبات، لكنهم لا يراقبون اللعبة الحقيقية. القوة الاقتصادية، والنفوذ الإقليمي، والشراكات الهادئة التي تتشكل تحت السطح. دعوني أوضح لكم شيئًا. إيران لا تتصرف عشوائيًا. بل تتحرك بوعي. بعد عقود من الألم والعزلة والضغط. لقد تعلمت إيران كيف تنتظر، وكيف تتكيف، والأخطر من ذلك، كيف تضرب بهدوء. والآن، خطوتها التالية بدأت بالفعل. الأمر لا يتعلق بعناوين الأخبار النووية، ولا بالأسلحة أو الجيوش أو حتى بالنفط، بل يتعلق بالتواصل والنفوذ والمكانة. إيران لا تحاول تدمير الشرق الأوسط، بل تحاول إعادة تعريفه. وهذا ما يجعل هذه اللحظة تاريخية وخطيرة للغاية.

كما ترون، لعقود، شكّلت قوى خارجية الشرق الأوسط. قوى غربية تُرسّم الحدود، وصفقات تُعقد في غرف سرية، وحروب تُشنّ للسيطرة على الموارد. لكن اليوم، هذا النموذج آخذ في الانهيار. الآن، دول مثل إيران والمملكة العربية السعودية وتركيا والإمارات العربية المتحدة تطرح سؤالاً جديداً.

لماذا يُحدّد الغرباء منطقتنا ونحن نعيش فيها؟

وإجابة إيران على هذا السؤال هي: ما الذي يجعل هذه اللحظة متفجرة؟ لأن إيران لم تعد تحاول كسر النظام. إنها تحاول استبداله. انظروا إلى ما يحدث ليس في العناوين الرئيسية، بل خلفها. تنضم إيران إلى BRICS. هذا يعني أنها تدخل كتلة اقتصادية قوية إلى جانب الصين وروسيا والهند والبرازيل وغيرها. يحاولون معاً خلق بديل للهيمنة الغربية في العملة والتجارة والدبلوماسية. الآن فكّروا في ذلك للحظة. لسنوات، مُنعت إيران من الوصول إلى الأنظمة المصرفية العالمية مثل SWIFT. فُرضت عليها عقوبات نفطية، وعُزلت شركاتها، وعُزل شعبها عن الاقتصاد العالمي. لكن إيران الآن تقول: سنبني اقتصاداً جديداً بدونكم.

هذا ليس انتقاماً، بل تطور. إيران لا تُصدّر النفط فحسب، بل تُصدّر النفوذ. تُنشئ طرقًا تجارية مع الصين وروسيا. تفتح ممرات للطاقة عبر آسيا الوسطى. تُجري محادثات هادئة مع دول الخليج. تُعيد بناء علاقاتها مع دولٍ كانت تُحاربها سابقًا.

والغرب لا يدري ماذا يفعل بهذه النسخة من إيران. لأن إيران هذه لا تُعلن علنًا، بل تُخطط. ودعني أخبرك، إن الأمة التي تُخطط بينما يُصاب الآخرون بالذعر هي أمةٌ تنهض. قد لا تُعجبك سياسة إيران. قد تُشكك في ماضيها، لكن لا تُخطئ. استراتيجية إيران الحالية تُجدي نفعًا. لأنها، ولأول مرة منذ زمن طويل، لا تُبدي أي رد فعل. إنها تقود.

تقود حركةً تُبعد التبعية للغرب، تُحدث تحولاً في كيفية توازن القوة في الشرق الأوسط. تُثير حوارًا حول المعنى الحقيقي للسيادة الإقليمية. وهي تفعل ذلك بهدوء لأن هذه هي الطريقة التي تتحرك بها القوة اليوم.

القوة لا تحتاج إلى استعراضات، بل تحتاج إلى موانئ وخطوط أنابيب وشراكات. وهذا بالضبط ما تُحرّكه إيران. انظروا إلى ممرات الشحن الجديدة التي تُبنى. انظروا كيف لا يزال النفط الإيراني يتدفق رغم العقوبات. انظروا كيف تتجاوز صفقاتهم النقدية مع الصين الدولار. انظروا كيف يُرسّخون استقرار اقتصادهم داخليًا من خلال المقايضة والاتفاقيات الثنائية. هذه ليست دولةً مُنهارة، بل دولةٌ تُعيد صياغة قواعدها.

والغرب يُكافح لفهم ذلك لأنه اعتقد طويلاً أن العزلة ستؤدي إلى الانهيار. لكن إيران لم تنهار. لقد تكيفت، وهي الآن تعود إلى الساحة العالمية، ليس كخادمة، بل كاستراتيجية. دعوني أخبركم الآن بما يعنيه هذا لبقية دول الشرق الأوسط. إنه يعني أن القوة تتبدل. الأعداء القدامى يصبحون حلفاءً حذرين. الخصوم يصبحون شركاء تجاريين. التوترات لا تُستبدل بالسلام، بل بالهدف. وهذا الهدف واضح. المنطقة تريد أن تقود نفسها. وإيران تُقدم نموذجًا ليس مثاليًا، وليس مُصقولاً، ولكنه مُستقل. تقول: «لسنا بحاجة إلى بنوككم. لسنا بحاجة إلى موافقتكم. لسنا بحاجة إلى أنظمتكم». وهذه الرسالة تصل إلى الجميع. لأن تكلفة الثقة بالغرب كانت باهظة للغاية بالنسبة للعديد من دول المنطقة. عقود من الحرب والديون والنزوح وخيبة الأمل. والآن ينظرون إلى الداخل. وإيران بهدوء ومنهجية تضع نفسها في قلب هذا التحول الداخلي، ليس من خلال الحرب، بل من خلال البدائل. والبدائل هي ما يغير موازين القوى.

لذا إذا كنت تراقب من بعيد معتقدًا أن إيران معزولة، فأنت تنظر إلى الماضي لأن ما سيأتي بعد ذلك هو إعادة تشكيل للتحالفات والعملات والأولويات. وإيران لا تنجو منه فحسب، بل إنها تقوده.

قد تتساءل كيف حدث هذا؟ كيف انتهى الأمر بدولة خاضعة لعقوبات شديدة ومعزولة للغاية ومشوهة للغاية لعقود من الزمن إلى قيادة أحد أهم التحولات الجيوسياسية في القرن الحادي والعشرين.

والإجابة ليست مجرد إعادة المرونة، إنها إعادة تنظيم. لأنه بينما كان الغرب منشغلاً بمحاولة معاقبة إيران لإجبارها على الخضوع، كانت الصين وروسيا تُعدّان دعوة مختلفة. انضموا إلينا وابنوا شيئًا جديدًا.

وقالت إيران نعم. لم يُعلن عن هذه الموافقة من فوق أسطح المنازل. لم تُذاع بشعارات براقة. بل تم ذلك بهدوء في المفاوضات، والصفقات التجارية، وبرامج النفط مقابل البنية التحتية، ومقايضات العملات. وجدت إيران شيئًا لم يتوقعه الغرب. بدائل. وفي عالم يفقد فيه الدولار الأمريكي مكانته المرموقة، فإن هذا يُغير كل شيء. لا تستخدم إيران «اليوان» لبيع النفط فحسب، بل تُنشئ ممرات طاقة تتجاوز نقاط الاختناق البحرية الأمريكية. وتربط نفسها بمبادرة «الحزام والطريق» الصينية. وتُصبح عضوًا دائمًا في BRICS، وهي مجموعة تُنشئ علنًا أنظمة لمنافسة مجموعة السبع. هذا ليس رمزيًا. هذا هيكلي لأن «بريكس» ليس ناديًا سياسيًا. إنه منفذ هروب اقتصادي، منفذ تحاول إيران بناءه منذ سنوات. والآن أصبح مكتملاً تقريبًا.

انظر إلى معنى ذلك عمليًا.

إذا فرضت الولايات المتحدة عقوبات على دولة ما، وكان بإمكان تلك الدولة التجارة مع الصين، والدفع باليوان، والشحن عبر موانئ إيران، والتعامل بالعملات الرقمية، فحينها تفقد العقوبات قوتها. يتلاشى النفوذ، وتبدأ الدول التي كانت تخشى العقوبات الغربية، بالانسحاب معًا.

هذا هو تأثير الدومينو. ودخول إيران الهادئ إلى «بريكس» هو اليد التي تُرجّح كفة الميزان. كما ترون، قيمة إيران بالنسبة لـ«بريكس» لا تكمن في النفط فحسب، بل في الجغرافيا أيضًا. إنها الجسر الذي يربط الشرق بالغرب، بين روسيا والهند، بين الصين والشرق الأوسط، وبين آسيا الوسطى وأفريقيا. السيطرة على هذا الجسر تُسيطر على الممر. ولهذا السبب تُهمّ إيران هذه الأيام، لأن التجارة العالمية لا تقتصر على المال فحسب، بل تتعلق بالحركة والطاقة والوصول والأمن الجذري. وإيران تُقدّم طرقًا آمنة بعيدًا عن الصراع، بعيدًا عن الحصار البحري، بعيدًا عن هيمنة الدولار.

لهذا السبب تُبرم الصفقات بهدوء وسرعة. روسيا بحاجة إلى بيع الطاقة، ولكن مع تجنّب الدولار. تحتاج الصين إلى نقل البضائع غربًا دون تدخل أمريكي. تحتاج الهند إلى النفط على نطاق واسع. وتحتاج إيران إلى طريق للعودة إلى العالم دون استجداء أحد.

فماذا يحدث؟ إنهم يبنون شبكة...

شبكة جديدة، حيث لا تجلس واشنطن على رأس الطاولة. ولأول مرة منذ أكثر من ٥٠ عامًا، لم يعد الشرق الأوسط يتطلع إلى الغرب بحثًا عن المصداقية. إنه يتطلع إلى الشرق للتنسيق. وهنا يتغير كل شيء لأن إيران لم تعد الدولة المارقة. إنها تصبح مرساة إقليمية. هذا ليس مجرد تطور سياسي، إنه انعكاس تاريخي. دعوني أريكم مدى سرعة حدوث ذلك. المملكة العربية السعودية وإيران، الخصمان التاريخيان، يتحدثان مرة أخرى.

لماذا؟

لأن الصين جلبتهما إلى طاولة المفاوضات. ليس الولايات المتحدة، ولا الأمم المتحدة. الصين وما كان يومًا ما تعاونًا لا يمكن تصوره بين اثنتين من أكثر الدول تعارضًا أيديولوجيًا في المنطقة بدأ الآن يصبح أمرًا طبيعيًا لأن كلا البلدين يدركان أن المستقبل لا يتعلق بمن يتحكم في اهتمام واشنطن. إنه يتعلق بمن يتحكم في الموانئ التجارية وخطوط الأنابيب وأنظمة الدفع. هذه هي اللعبة. الآن، إيران بانضمامها إلى «بريكس» لا تطلب الصداقة، بل تقدم منفعة. والمنفعة تجد دائمًا موطئ قدم لها، لأن القوة العالمية لم تعد تتعلق بالشعبية، بل بالمكانة. وإيران تتموضع ببراعة بين الشرق والغرب. لا تلعب على الجانبين، بل لتصبح الجانب الذي يجب على الآخرين المرور عبره. هذه جاذبية اقتصادية، وهي في طور التحول. عندما تبدأ دول كافية باستثمار النفط هناك، وعندما تمر سلع كافية عبر الممرات الإيرانية، وعندما تدعم دول الكومنولث بعضها البعض في التجارة والطاقة، يبدأ العالم في الاختلاف. لم يعد يدور حول موافقة الولايات المتحدة، بل بدأ يدور حول التعاون الإقليمي، والتجارة القائمة على الثقة، والبدائل المالية. هذه هي الثورة الصامتة، وإيران في قلبها.

دعوني أكون صريحًا جدًا.

هذا لا يعني أن مشاكل إيران الداخلية قد حُلّت. لا توجد دولة خالية من التعقيد. لا تزال إيران تواجه التضخم والاحتجاجات والضغوط السياسية والتحولات الجيلية. لا تزال تعاني من انقسامات عميقة داخل شعبها وبين الشعب والقيادة. لكن هذا هو المهم. داخليًا، تتعلم إيران التعايش مع الضغوط. خارجيًا، يتعلق الأمر بتعلم كيفية تحويل هذا الضغط إلى نفوذ. وهذا النوع من المرونة، عند اقترانه بشراكات استراتيجية هادئة، هو أساس القوة الإقليمية. والولايات المتحدة تدرك ذلك. ولهذا السبب يزداد الخطاب صخبًا. ولهذا السبب تصرخ المزيد من العناوين الرئيسية حول التهديدات. لأنه عندما يتراجع النفوذ، يزداد الضجيج. لكن الضجيج لا يوقف الاستراتيجية. واستراتيجية إيران تتكشف بالفعل على خرائط الشحن، ومسارات العملات، وتوقعات الطاقة.

عليك فقط أن تنظر.

وإذا نظرت، فسترى أن الخطوة التالية لإيران ليست حربًا، بل هي استبدال.

استبدال الأنظمة التي كانت تغلقها في السابق. استبدال الروايات التي كانت تُعرّفها في السابق. استبدال التبعية بالترابط وفقًا لشروطها. وهذا هو ما سيُعيد تشكيل الشرق الأوسط، ليس الصراع، بل التواصل.

معظم الناس لا يدركون كيف تتغير القوة. يظنون أنها تحدث فجأةً عبر الحرب، عبر الاحتجاجات، عبر الانتخابات.

لكن القوة الحقيقية لا تتحرك بهذه الطريقة. إنها تتحول عبر الثقة، عبر التكرار، عبر أنظمة لا تحتاج إلى إذن للوجود. هذا بالضبط ما يحدث في الشرق الأوسط الآن. وإيران، التي كانت تُعتبر في السابق منبوذة، أصبحت الآن حلقة الوصل. ليس لأنها أصبحت مثالية، بل لأنها أصبحت ضرورية. وعندما تصبح دولة ما ضرورية، لم يعد الناس يسألون: «هل نحبهم؟» بل يسألون: «هل يمكننا تجاهلهم؟» الآن، الجواب واضح. لا يمكنك تجاهل إيران.

انظر إلى المؤشرات. الشركات الأوروبية تستكشف بهدوء كيفية العودة إلى الأسواق الإيرانية. دول آسيا الوسطى تُعزز بنيتها التحتية مع الممرات الإيرانية. حتى دول الخليج، المعادية تاريخيًا، تفتح حوارًا. هذه ليست دبلوماسية، بل هي تموضع. لأن كل حكومة ذكية في المنطقة تعرف شيئًا لا يعرفه معظم الناس.

الشرق الأوسط ما بعد أمريكا قيد التصميم بالفعل. وإيران لها مقعد على تلك الطاولة. لا يمكنك إعادة تشكيل منطقة بدون جغرافيا. وإيران تملك الخريطة. حدودها تلامس تركيا والعراق وأفغانستان وباكستان والخليج العربي وبحر قزوين. يمتد امتدادها من جبال أرمينيا إلى موانئ عُمان. وكل صفقة تجارية جديدة تتدفق شرقًا، سواء كانت بضائع صينية أو طاقة روسية أو حبوب هندية تمر في النهاية عبر أيدي إيرانية. هذا ليس مجرد ملاءمة، بل هو مركزية. وفي الأنظمة العالمية، تصبح المركزية قوة. أمضى الغرب عقودًا في محاولة عزل إيران، لكن العزلة يمكن أن تكون مؤقتة. الجغرافيا دائمة. وهذا هو الفرق الرئيسي. الآن، دعونا نبتعد قليلاً. لطالما كان الشرق الأوسط ساحة معركة على النفوذ، الديني والسياسي والاستراتيجي. ولكن لأول مرة منذ عقود، أصبح شيئًا آخر. شبكة، منطقة مكتفية ذاتيًا بها ما يكفي من النفط وطرق التجارة والتكنولوجيا والشركاء الماليين لإنشاء حلقة خاصة بها دون انتظار الغرب. وهذه الحلقة الجديدة ليست مبنية على الأيديولوجية. إنها مبنية على الاحتياجات. تحتاج المملكة العربية السعودية إلى أمن طويل الأمد. تحتاج الإمارات العربية المتحدة إلى تجارة متنوعة. يحتاج العراق إلى بنية تحتية. تحتاج تركيا إلى تدفق الطاقة. تحتاج الصين إلى وصول إقليمي. تحتاج روسيا إلى ممرات جنوبية. وإيران تقع في قلب كل ذلك. يمكنها توريد النفط، واستضافة خطوط السكك الحديدية والشحن، ومعالجة المدفوعات باليوان أو الروبل. والتنسيق مع كل من الدول السنية والشيعية. وهذا يجعلها لا تقدر بثمن سواء كنت تحبها أو تخشاها. هذا هو نوع النفوذ الذي لا يصرخ. إنه يتدفق. النفوذ الذي يتدفق وينسج نفسه في الواقع اليومي للدول الأخرى يصبح لا يتزعزع. دعني أقدم لك مقارنة. لعقود من الزمن، شكلت الولايات المتحدة الشرق الأوسط من خلال التحالفات العسكرية. لكن التحالفات تتطلب الولاء. والولاء يتلاشى مع عدم تلبية التوقعات. إيران تشكل المنطقة من خلال أهميتها. والأهمية لا تتطلب الولاء. إنها تتطلب الحاجة فقط. إذا كان جارك يتحكم في الطريق الذي تتاجر فيه، فقد لا تحبه، لكنك ستظل تتحدث معه. هذا هو وضع إيران الآن. ليست موضع إعجاب، ولكنها ضرورية. وفي الجغرافيا السياسية، الضرورة أقوى من الشعبية. فماذا يعني هذا للجيل القادم؟ يعني أن الأطفال الذين ينشؤون في طهران ودبي وبغداد والرياض سيعيشون في منطقة لم تعد تُعرّف بالتدخل الغربي، بل بالتنسيق الإقليمي. لن يسألوا ماذا تريد واشنطن. سيسألون ماذا تحتاج المنطقة؟ هذا التحول الفكري هائل. هكذا توقفت أوروبا في النهاية عن خوفها من الحرب بين ألمانيا وفرنسا. هكذا بنت جنوب شرق آسيا تنميتها بعد عقود من عدم الاستقرار. هكذا بدأت أفريقيا ببناء منطقة تجارة حرة قارية. عندما تبدأ المناطق بالتفكير كمناطق، يتغير العالم. وهذا ما تُمكّنه خطوة إيران التالية. بانضمامها إلى «بريكس»، وبالتحالف مع الصين وروسيا، وبإعادة إطلاق المحادثات مع الدول العربية، تُجبر إيران المنطقة على النظر إلى الداخل، لا إلى الأعلى، إلى إيجاد حلول مشتركة، لا إلى طلب المساعدة. هذا هو التحول. ولا يتطلب اتفاق الجميع. يتطلب فقط عددًا كافيًا من الناس للتوقف عن لعب لعبة الآخرين. الآن، أودُّ أن أتحدث مباشرةً إلى من يشاهدون من بعيد في الولايات المتحدة وأستراليا وسنغافورة وأوروبا. قد تظنون أن هذا لا علاقة لكم به، وأن هذه مجرد قصة أخرى من قصص الشرق الأوسط، لكن دعوني أحذركم، ما يحدث هنا يؤثر على الجميع. فمع اندماج إيران شرقًا، يفقد الغرب نفوذه، وتفقد العقوبات قوتها، ويفقد الدولار هيمنته، وتبدأ أسعار الطاقة العالمية في التذبذب خارج نطاق السيطرة التقليدية، مما يؤثر على التضخم، واستثماراتكم، وتقاعدكم، وقوة بلدكم الجيوسياسية. وكلما سارعت هذه المنطقة في بناء الاعتماد على الذات، وتسارع انهيار النظام القديم. إن إيران لا تُعيد تشكيل الشرق الأوسط فحسب، بل تُساهم في إعادة تشكيل النظام العالمي.

مُنهَك. هذا هو انتقام الصبر. شاهدت إيران الآخرين يُنهكون نفوذهم بالحروب والعقوبات والحملات الإعلامية. الآن تتقدم ليس كضحية بل كبانٍ. وهكذا تبدو الاستراتيجية الحقيقية. تنتظر. تصمد. تنجو. ثم تظهر عندما يُفرغ أعداؤك أنفسهم. هذا ما نحن عليه الآن. لم تعد إيران مجرد علامة استفهام على الخريطة العالمية. إنها تُصبح نقطة محورية، دولة يجب على الآخرين العمل معها، سواء اعترفوا بذلك أم لا. وهكذا تنتصر القوة الهادئة. هناك لحظات في التاريخ لا تبدو كنقاط تحول إلا بعد أن يتغير كل شيء بعدها. خطوة إيران التالية هي إحدى تلك اللحظات. لن تأتي بالضجة. لن تأتي بالأعلام العسكرية أو الخطب في الأمم المتحدة. ستأتي من خلال التجارة والتعاون والتحالف والاستراتيجية الهادئة. وفي صباح أحد الأيام، سيستيقظ العالم ويدرك أن الشرق الأوسط قد تغير ليس من خلال النار، بل من خلال الاحتكاك والمقاومة. من خلال إعادة تموضع طويلة وصبورة للسلطة، لم تعد إيران تطلب مقعدًا على الطاولة العالمية. إنها تبني طاولتها الخاصة وتدعو الآخرين للانضمام، ليس بالشعارات، ولكن

بخطوط الأنابيب والموانئ والشراكات والغرض. هذه هي الطريقة التي تُمارس بها القوة الحديثة. لست بحاجة إلى غزو الدول. ما عليك سوى أن تصبح مفيدًا لهم. لست بحاجة إلى فرض الولاء. أنت تخلق أنظمة يعتمد عليها الناس. وإيران، بعد عقود من الإقصاء، تعلمت كيف تصبح أساسية لطرق الطاقة، ولممرات التجارة، وللأمن الإقليمي، ولبنية الشرق الأوسط الجديد ذاتها. هذه ليست أيديولوجية، إنها حقيقة. لأنه عندما تصبح دولة كانت معزولة ذات يوم مركزية، يجب على العالم إعادة رسم الخريطة. ليس خريطة الحدود، بل خريطة النفوذ. وبينما تُرسم هذه الخريطة الجديدة، أريد أن أتحدث إليك مباشرةً. ليس كسياسي، وليس كرئيس تنفيذي، ولكن كشخص عاش خلال انهيار الأنظمة وإعادة بنائها. كما ترون، يحب الناس الاعتقاد بأن التغيير يحدث هناك مع الحكومات والجنرالات. لكن هذا جزء فقط من القصة. الجزء الآخر هو أنت. يحدث التغيير في فهمك، في كيفية رؤيتك للعالم، فيما تختار فعله حيال ذلك. لذا اسمحوا لي لبضع لحظات أن أقدم لكم بعض النصائح، ليس فقط عن إيران، ولكن حول كيفية البقاء في عالم يتغير تحت أقدامكم. إليكم نصيحتي من إنسان لآخر. رقم واحد، انتبهوا للدول الهادئة، التي تتجاهلها وسائل الإعلام، والتي لا تحظى باهتمام كبير على وسائل التواصل الاجتماعي، لأن هذه غالبًا ما تكون الدول التي تبني الغد بهدوء. رقم اثنين، لا تعتمدوا على التحالفات القديمة. ما نجح في عام ١٩٩٠ لن ينجح في عام ٢٠٣٠. الأنظمة المبنية على السيطرة تنهار. الأنظمة المبنية على القيمة المتبادلة تزدهر. رقم ثلاثة، تعلموا من المرونة. قصة إيران ليست قصة هيمنة. إنها قصة تكيف. والتكيف أكثر قيمة من التنبؤ. رقم أربعة، احترموا الصبر. يكافئ العالم أولئك الذين يستعدون، وليس أولئك الذين يصابون بالذعر. خامسًا، ابقَ على اطلاع عالمي، لا من خلال منظورك الوطني فقط. فالمستقبل ليس ملكًا للدول، بل لمن يفهمون الروابط. وهذا ينطبق على الأفراد والعائلات والشركات. سواء كنت تعيش في كوالالامبور، أو بيرث، أو لوس أنجلوس، أو طهران، فأنت بالفعل داخل الشبكة العالمية. ما يحدث في الخليج يؤثر على تكلفة مشترياتك. ما يحدث في «بريكس» يؤثر على حساب تقاعدك. ما ستفعله إيران لاحقًا سيؤثر على عالمك حتى لو لم تسافر إليها أبدًا. هذا هو عصر التشابك. وفي هذا العصر، لم يعد الجهل بريئًا. إذا كنت تريد البقاء على قيد الحياة في العقد المقبل، فأنت بحاجة إلى معرفة ما تفعله إيران، وما تبنيه الصين، والعملات الصاعدة، وكيف تتدفق التجارة. ليس فقط لكسب المال، ولكن لفهم ما هو قيّم حقًا. ودعني أخبرك أن القيّم لم يعد الذهب أو النفط أو البيانات فقط. القيّم هو الوضوح، لأن الوضوح يسمح لك بالاستعداد، والاستعداد في الأوقات العصيبة هو أعظم أشكال السلام. لذا أريد أن أختم هذه الرسالة بحقيقة واضحة جدًا. لن يكون صعود إيران مثاليًا. لا توجد دولة مثالية. لكن عودتها إلى مركز الاهتمام العالمي ليست مصادفة. بل تُكتسب من خلال البقاء، والتموضع، والتوقيت. وبينما يواصل الغرب صراعه مع تراجعه، تُصمم إيران، مع دول أخرى، واقعًا اقتصاديًا جديدًا. واقعٌ يكون فيه الصمت استراتيجية، والصبر قوة، والأهمية تتغلب على السمعة. هذه هي اللعبة الآن.

بقلم دولة
البروفيسور/ عبد
العزيز صالح بن
حبتور

٤ يوليو ٢٠٢٥

مَاذَا أَصَابَ الأُمَّةَ الإِسْلامِيَّةَ مِنْ فُتُورٍ وَهُزَالٍ وغِيَابِ وَعْيٍ تُجَاهَ مَا يَحْدُثُ مِنْ جَرَائِمَ وحَشِيَّةٍ فِي قِطَاعِ غَزَّةَ ؟

يَتَعَرَّضُ أَهْلُنَا الفِلَسْطِينِيُّونَ فِي قِطَاعِ غَزَّةَ لِمَذْبَحَةٍ وَحْشِيَّةٍ مُدَمِّرَةٍ مِنْ قِبَلِ النَّازِيِّينَ الْجُدُدِ لِكِيَانِ الْعَدُوِّ الإِسْرَائِيلِيِّ الصُّهْيُونِيِّ قَلَّ أَنْ يَحْدُثَ نَظِيرُهَا بِهَذَا الوُضُوحِ الفَاضِحِ وَالعَلَانِيَّةِ المُمَجُوجَةِ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنْ هَذَا العَالَمِ الفَسِيحِ.. مَا يَحْدُثُ مِنْ قَتْلٍ وَتَشْرِيدٍ وَتَجْوِيعٍ لِلأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ المُسِنِّينَ، وَالمُسْتَمِرَّةِ لِقُرَابَةِ ٦٥٠ يَوْماً وَلَيْلَةً، وَبِدَمٍ بَارِدٍ، وَبِأَحْدَثِ آلَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ، وَتِقْنِيَّةٍ صُهْيُو أَمْرِيكِيَّةٍ، لَهُوَ شَيْءٌ مُرُوِّعٌ وَمُزْرٍ وَمُرْعِبٌ وَمُخِيفٌ، يَتْرُكُ نُدُوباً غَائِرَةً فِي وَجْهِ الحُكَّامِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ، وَوَجْهِ مَنْظُومَةِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ المُتَمَاهِيَةِ مَعَ كُلِّ جَرَائِمِ الحَرْبِ وَالإِبَادَةِ الجَمَاعِيَّةِ، وَجَرَائِمَ ضِدَّ الإِنْسَانِيَّةِ.

**كُنْتُ أَتَبَادَلُ أَطْرَافَ الحَدِيثِ مَعَ عَدَدٍ مِنَ الأَصْدِقَاءِ فِي أَحَدِ المُتَنَزَّهَاتِ العَامِرَةِ بِالعَاصِمَةِ صَنْعَاءَ، وَكَانَ مِحْوَرُ حَدِيثِنَا هُوَ: مَا يَحْدُثُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ مِنْ جَرَائِمَ تَجْوِيعٍ، وَقَتْلٍ، وَإِبَادَةٍ، وَتَدْمِيرٍ لِأَهْلِنَا الفِلَسْطِينِيِّينَ فِي قِطَاعِ غَزَّةَ، وَكَمْ مِنَ الوَقْتِ يَحْتَاجُ ضَمِيرُ وَوَعْيُ الإِنْسَانِ العَرَبِيِّ وَالمُسْلِمِ لِكَي يَسْتَيْقِظَ وَيَثُورَ، وَيَغْضَبَ، وَيَحْتَجَّ، وَيُقَاوِمَ بِأَيَّةِ وَسِيلَةٍ كَانَتْ، وَبِأَيِّ طَرِيقَةٍ مُنَاسِبَةٍ عَلَى يُشَاهِدُهُ يَوْمِيّاً صَبَاحَ مَسَاءَ عَبْرَ وَسَائِلِ الإِعْلَامِ الجَمَاهِيرِيِّ المَحَلِيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ، وَالأَجْنَبِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ، وَالمُتَنَوِّعَةِ، كَمْ لَدَى ذَلِكَ الإِنْسَانِ المُغَيَّبِ وَعْيُهُ وَإِنْسَانِيَّتُهُ مِنْ عُمْرٍ؛ لِيَنْشَغِلَ وَيَتَغَافَلَ عَمَّا يَحْدُثُ مِنْ سَيْلِ الجَرَائِمِ المُرْتَكَبَةِ بِحَقِّ الأَبْرِيَاءِ مِنَ الأُسَرِ الفِلَسْطِينِيَّةِ، لَيْسَ فِي قِطَاعِ غَزَّةَ وَحْدَهَا، بَلْ فِي مُدُنٍ، وَقُرَى الضَّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ، وَمَدِينَةِ القُدْسِ الشَّرِيفِ.

تَقُولُ الإِحْصَاءَاتُ الرَّسْمِيَّةُ المُعْلَنَةُ بِأَنَّ عَدَدَ المُسْلِمِينَ، وَالمُسْلِمَاتِ قَدْ تَجَاوَزَ المِلْيَارَ وَالنِّصْفَ مِنْ إِنْدُونِيسِيَا شَرْقاً حَتَّى المَغْرِبِ العَرَبِيِّ غَرْباً، كَمَا تُشِيرُ الإِحْصَاءَاتُ بِأَنَّ عَدَدَ العَرَبِ، وَمُعْظَمُهُمْ مُسْلِمُونَ مِنَ الطَّائِفَةِ السُّنِّيَّةِ الكَرِيمَةِ يَسْكُنُونَ مِنْ سَلْطَنَةِ عُمَانَ العَرَبِيَّةِ شَرْقاً حَتَّى مَدِينَةِ كَازَابْلَانْكَا بِالمَغْرِبِ العَرَبِيِّ يَقْتَرِبُونَ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ مِلْيُونِ عَرَبِيٍّ مُسْلِمٍ.

هَذِهِ الأَرْتَالُ البَشَرِيَّةُ تُشَاهِدُ قَنَوَاتِ التِّلِيفِزْيُونِ بِمُعَدَّلِ نِصْفِ سَاعَةٍ يَوْمِيّاً، وَتُتَابِعُ تَطْبِيقَ الفَيْسْبُوكِ الخَاصَّ بِمُعَدَّلِ سَاعَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرَ يَوْمِيّاً، وَآخَرُونَ يُشَاهِدُونَ تَطْبِيقَيِ الوَاتْسَابِ، وَالفَايبر وَغَيْرَهُمَا.

المُؤَكَّدُ أَنَّ أَخْبَارَ تَجْوِيعٍ، وَقَتْلٍ وَتَعْذِيبِ أَشِقَّائِهِمُ الفِلَسْطِينِيِّينَ العَرَبِ مِنْ طَائِفَةِ السُّنَّةِ الكَرِيمَةِ وَكَذَلِكَ مِنْ مُنْتَسِبِي الدِّيَانَةِ المَسِيحِيَّةِ يُشَاهِدُونَهَا عَبْرَ شَرِيطِ، وَنَشَرَاتِ الأَخْبَارِ، وَالمَوَاقِعِ الإِلِكْتْرُونِيَّةِ العَدِيدَةِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ لَنَا تَطْبِيقُ التَّعَالِيمِ الإِسْلَامِيَّةِ السَّمْحَةِ عَلَى تِلْكَ الأَكْوَامِ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالعَرَبِ؟

أَلَيْسَ غَرِيباً وَدَامِياً مَا يَحْدُثُ أَمَامَ نَاظِرِنَا مِنْ مَلْهَاةٍ مُرْعِبَةٍ تُنْذِرُ بِأَنَّنَا أَمَامَ ظَاهِرَةٍ فَرِيدَةٍ، وَخَاصَّةٍ وَاسْتِثْنَائِيَّةٍ فِي هَذَا العَالَمِ الظَّالِمِ وَفِي هَذِهِ الحَيَاةِ.

أَيُعْقَلُ أَنَّ هَذِهِ الأُمَمَ سَالِفَةَ الذِّكْرِ جَمِيعَهَا بِلَا عُقُولٍ، وَبِلَا وَعْيٍ، وَبِلَا ضَمِيرٍ، وَبِلَا أَخْلَاقٍ، وَبِلَا رُجُولَةٍ، وَبِلَا شَرَفٍ؟ أَيْنَ التَّأْثِيرُ الدِّينِيُّ الإِسْلَامِيُّ لِآلَافِ، بَلْ قُولُوا لِمَلَايِينِ المَسَاجِدِ، وَالجَوَامِعِ وَالمُصَلَّيَاتِ المُنْتَشِرَةِ فِي جَمِيعِ قَارَّاتِ العَالَمِ؟ أَيْنَ الخُطَبَاءُ الجَهَابِذَةُ، وَالوَاعِظُونَ المُنْتَشِرُونَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ، وَحَيٍّ، وَشَارِعٍ وَقَرْيَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ وَعَرَبِيَّةٍ؟

أَيْنَ أَثَرُ وتَأْثِيرُ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ (مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ، وَالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ) وَهِجْرَةِ مِئَاتِ المَلَايِينِ مِنَ المُسْلِمِينَ مِنَ الحُجَّاجِ وَالمُعْتَمِرِينَ مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَيْهِمَا فِي كُلِّ عَامٍ، وَمُنْذُ أَزْيَدَمِنْ ١٤٤٧ سَنَةً هِجْرِيَّةً. أَيْنَ تَأْثِيرُ وأَثَرُ الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ لِرَسُولِنَا الأَعْظَمِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالَّتِي أَغْدَقَ بِهَا العُلَمَاءُ المُسْلِمُونَ، أَمْثَالُ البُخَارِيِّ، وَمُسْلِمٍ رَحِمَهُمَا اللهُ، وَالَّذِي بَشَّرَنَا بِهَا – ذَاتَ يَوْمٍ – جَهَابِذَةُ قُضَاةِ السُّنَّةِ وأَئِمَّتِهِم بِأَنَّ كِتَابَ البُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، هُوَ أَصْدَقُ كِتَابٍ بَعْدَ القُرْآنِ الكَرِيمِ.. اللهُ أَكْبَرُ عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الفَتَاوَى وَالاجْتِهَادَاتِ المُبَالَغِ فِيهَا وَالَّتِي أَنْتَجَتْ لَنَا ذَلِكَ الوَعْيَ المُشَوَّهَ لِلأُمَّةِ كُلِّهَا، وَهِيَ أُمَّةُ المِلْيَارِ وَالنِّصْفِ؟

السُّؤَالُ، هَلْ هَذِهِ الأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ وَالعَرَبِيَّةُ مُغَيَّبَةٌ فِي وَعْيِهَا، وَفِي حَالَةِ غَيْبُوبَةٍ سَرِيرِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ أَمَامَ مَا يَحْدُثُ مِنْ جَرَائِمَ يَوْمِيَّةٍ فَظِيعَةٍ لأَهْلِنَا الفِلَسْطِينِيِّينَ فِي قِطَاعِ غَزَّةَ، وَالضَّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ مُنْذُ ٧ أُكْتُوبَرِ ٢٠٢٣م، أَيْ مُنْذُ بَدْءِ مَعْرَكَةِ طُوفَانِ الأَقْصَى المُبَارَكَةِ، وَحَتَّى لَحْظَةِ كِتَابَةِ مَقَالَتِنَا هَذِهِ بِتَارِيخِ ٤ يُولِيُو٢٠٢٥م.

عِصَابَاتُ الكَيَانِ الإِسْرَائِيلِيِّ الصُّهْيُونِيِّ – وَبِدَعْمٍ مِنَ الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ، وَالبُلْدَانِ الغَرْبِيَّةِ المُكَوَّنَةِ مِنْ كُلٍّ مِنْ (فرنسا، بريطانيا – ألمانيا، إيطاليا، وكندا، وَمُعْظَمِ الأَنْظِمَةِ العَرَبِيَّةِ، وَالخَلِيجِيَّةِ، تَحْدِيداً.. جَمِيعُ تِلْكَ الدُّوَلِ دَعَمَتْ كِيَانَ إِسْرَائِيلَ عَسْكَرِيًّا وَأَمْنِيًّا، وَمَالِيًّا، وَاقْتِصَادِيًّا، وَلَوْجِسْتِيًّا؛ مِمَّا مَكَّنَهَا مِنْ شَنِّ عُدْوَانٍ مُتَوَحِّشٍ عَلَى قِطَاعِ غَزَّةَ، وَالضَّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ، وَعَلَى الشَّعْبِ اللبنانيِّ البَطَلِ، وعلى أراضي الجُمْهُورِيَّةِ العربيَّةِ السُّورِيَّةِ بعدَ إِسقاطِ نِظامِ الأسدِ العُرُوبيِّ،وعلى الشَّعبِ اليَمَنيِّ فِي الجُمهُوريَّةِ اليمنيَّةِ، وعاصِمتُها صَنعاءُ، وعلى العِراقِ ،

وَأَخِيراً شَنَّتْ عُدْوَاناً غَادِراً خَسِيساً عَلَى أَرَاضِي الجُمْهُورِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ الإِيْرَانِيَّةِ؛ بِهَدْفِ إِسْقَاطِ النِّظَامِ الإِسْلَامِيِّ الحُرِّ، أَوْ عَلَى الأَقَلِّ تَدْمِيرُ قُوَّتِهِ النَّوَوِيَّةِ، وَالصَّارُوخِيَّةِ وَالعَسْكَرِيَّةِ الأُخْرَى، لَكِنَّهَا فَشِلَتْ فَشَلاً ذَرِيعاً فِي تَآمُرِهَا، وَوَقَعَتْ فِي شَرِّ أَعْمَالِهَا، وَشَاهَدَ العَالَمُ كُلُّ العَالَمِ – وَلأَوَّلِ مَرَّةٍ – تَدْمِيرَ المُدُنِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ، وَقَوَاعِدَهَا العَسْكَرِيَّةِ، وَمَرَاكِزَ التَّجَسُّسِ لَدَيْهَا، بِالإِضَافَةِ إِلَى هُرُوبِ آلَافِ المُوَاطِنِينَ الصَّهَايِنَةِ الإِسْرَائِيلِيِّينَ عَبْرَ الحُدُودِ المِصْرِيَّةِ وَالأُرْدُنِيَّةِ، وَعَبْرَ الشَّوَاطِئِ الفِلَسْطِينِيَّةِ وُصُولاً إِلَى مَوَانِئِ قُبْرُصَ.

دَعُونَا نَبْحَثْ فِي الأَسْبَابِ المَوْضُوعِيَّةِ، وَالذَّاتِيَّةِ الَّتِي أَوْصَلَتْ مُعْظَمَ الرَّأْيِ العَامِّ الإِسْلَامِيِّ وَالعَرَبِيِّ إِلَى هَذَا المُسْتَوَى مِنْ فِقْدَانِ التَّفَاعُلِ الإِخْوِيِّ وَالدِّينِيِّ مَعَ القَضَايَا المَصِيرِيَّةِ لِلأُمَّةِ:

أَوَّلاً: لَمْ تَعُدْ قَضِيَّةُ فِلَسْطِينَ هِيَ القَضِيَّةَ المَرْكَزِيَّةَ لِلأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ، وَتَمَّ مُحَارَبَةُ فِكْرِ وَثَقَافَةِ الجِهَادِ الحَقِيقِيِّ فِي سَبِيلِ اللهِ وَفِلَسْطِينَ، وَتَمَّ اسْتِبْدَالُهَا بِثَقَافَةِ جِهَادِ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ، وَجِهَادِ مُقَاتِلِي تَنْظِيمِ دَاعِشَ، وَجِهَادِ النِّكَاحِ، وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الفَتَاوَى الَّتِي تُبْعِدُ الأُمَّةَ عَنْ أَدَاءِ وَاجِبِهَا تُجَاهَ فِلَسْطِينَ، وَشَعْبِهَا الصَّابِرِ المُقَاوِمِ.

ثَانِياً: خِيَانَةُ الحُكَّامِ العَرَبِ لِلْقَضِيَّةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ، وَبَدَؤُوا يَتَنَكَّرُونَ لِحَقِّ الفِلَسْطِينِيِّينَ فِي أَرْضِ فِلَسْطِينَ، وَفِي عَوْدَةِ اللَّاجِئِينَ، وَالمُهَجَّرِينَ قَسْراً، وَتَعْوِيضِهِمُ التَّعْوِيضَ العَادِلَ عَمَّا جَرَى لَهُمْ مِنْ تَهْجِيرٍ، وَطَرْدٍ مِنْ مُدُنِهِمْ، وَقُرَاهُمْ، وَبُيُوتِهِمْ، وَتَمَّ التَّنَكُّرُ لِأَرْوَاحِ، وَدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ الأَبْرَارِ.

ثَالِثاً: خِيَانَةُ مُعْظَمِ الحُكَّامِ العَرَبِ لِلْقَضِيَّةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ، بَدْءاً بِخِيَانَةِ مُحَمَّدٍ أَنْوَرِ السَّادَاتِ، بِاعْتِرَافِهِ بِالكِيَانِ الصُّهْيُونِيِّ، وَزِيَارَتِهِ الأَرَاضِيَ الفِلَسْطِينِيَّةَ المُحْتَلَّةَ فِي العَامِ ١٩٧٧م، وَكَذَلِكَ خِيَانَةُ مَلِكِ الأُرْدُنِ المَلِكِ حُسَيْنِ الهَاشِمِيِّ، وَخِيَانَةُ المَدْعُوِّ محمود عبَّاس – رَئِيسِ السُّلْطَةِ اللَّاوَطَنِيَّةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ لِأَرْضِهِ، وَوَطَنِهِ، وَبَعْدَهَا تَنَاثُرُ العُرْبَانِ الخَوَنَةِ، وُصُولاً إِلَى خِيَانَةِ حُكَّامِ المَمْلَكَةِ السُّعُودِيَّةِ، وَبَقِيَّةِ العِصَابَةِ الَّتِي خَانَتْ أَرْضَ فِلَسْطِينَ، وَشَعْبَهَا العَظِيمَ.

رَابِعاً: قُبُولُ الحُكَّامِ العَرَبِ الخَوَنَةِ بِشُرُوطِ الحَرَكَةِ الصُّهْيُونِيَّةِ بِتَغْيِيرِ وَتَطْبِيعِ المَنَاهِجِ التَّرْبَوِيَّةِ، وَالتَّعْلِيمِيَّةِ لِلتَّلَامِيذِ، وَالطُّلَّابِ فِي المَدَارِسِ الأَسَاسِيَّةِ، وَالثَّانَوِيَّةِ فِي جَمِيعِ عَالَمِنَا العَرَبِيِّ، وَرُبَّمَا الإِسْلَامِيِّ، وَبِالتَّالِي رَأَيْنَا ذَلِكَ المَنْهَجَ التَّرْبَوِيَّ المُتَصَهْيِنَ كَيْفَ أَفْسَدَ عُقُولَ وَوَعْيَ، وَثَقَافَةَ الأَجْيَالِ العَرَبِيَّةِ المُتَعَاقِبَةِ.

خَامساً: نَشْرُ ثَقَافَةِ الاسْتِسْلَامِ الجَمْعِيِّ بَيْنَ فِئَاتِ المُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ لِمَقُولَةِ بِأَنَّ كِيَانَ إِسْرَائِيلَ قُوَّةٌ عَسْكَرِيَّةٌ، وَأَمْنِيَّةٌ، وَعِلْمِيَّةٌ لَا تُقْهَرُ، وَأَنَّ مِفْتَاحَ الحَلِّ لِلْقَضِيَّةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ هُوَ بِيَدِ أَمِيرِكَا بِنِسْبَةِ ٩٩٪، وَهَكَذَا تَمَّ نَشْرُ سِيَاسَةِ، وَثَقَافَةِ الاسْتِسْلَامِ، وَالانْبِطَاحِ لِلْمَشْرُوعِ الصُّهْيُونِيِّ الأَمْرِيكِيِّ الأَطْلَسِيِّ.

سَادِساً: نَشْرُ وَتَعْمِيمُ الثَّقَافَةِ الاسْتِهْلَاكِيَّةِ لِلْبَضَائِعِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ المُسْتَوْرَدَةِ مِنَ الأَسْوَاقِ الغَرْبِيَّةِ، وَتَعْمِيمُهَا فِي الأَسْوَاقِ المَحَلِّيَّةِ فِي المُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَجَعْلِهَا ثَقَافَةً يَوْمِيَّةً اسْتِهْلَاكِيَّةً مَعَ نَشْرِ الأَفْلَامِ الغَرْبِيَّةِ المُدَمِّرَةِ لِلرُّوحِ الثَّقَافِيَّةِ الوَطَنِيَّةِ، والهُوِيَّةِ الايمانيَّةِ البَعِيدَةِ عَنِ الالْتِزَامِ الرُّوحِيِّ وَالدِّينِيِّ الإِسْلَامِيِّ الحَنِيفِ.

سَابِعاً: خَلَقَتِ الحَرَكَةُ الصُّهْيُونِيَّةُ الأَمْرِيكِيَّةُ وَالأُورُوبِيَّةُ مَعَ الحُكَّامِ العَرَبِ المُتَصَهِّينِينَ بُؤْرَاً لِلتَّوَتُّرِ عَالِيَةِ المُسْتَوَى، وَخَلَقَتْ مَشَاكِلَ سِيَاسِيَّةً، وَعَسْكَرِيَّةً، وَاقْتِصَادِيَّةً دَاخِلِيَّةً فِي البُلْدَانِ العَرَبِيَّةِ كُلِّهَا تَقْرِيباً، وَجَعَلَتْ تِلْكَ المُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةَ، وَالشُّعُوبَ بِطَبَقَاتِهَا، وَقِوَاهَا الاجْتِمَاعِيَّةِ وَمُؤَسَّسَاتِهَا الوَطَنِيَّةِ تَدُورُ وَتَلِفُّ حَوْلَ ذَاتِهَا، وَتَسْتَهْلِكُ ذَاتَهَا وَقُدْرَاتِهَا، وَبِالتَّالِي لَمْ يَعُدْ لَدَى المُوَاطِنِ العَرَبِيِّ وَقْتٌ حَتَّى فِي مُجَرَّدِ التَّفْكِيرِ فِي القَضَايَا العَرَبِيَّةِ العَامَّةِ وَخِلَافِهَا.

الْخُلَاصَةُ:

لَا يُمْكِنُ التَّخَلُّصُ مِنْ هَذَا الوَاقِعِ العَرَبِيِّ الرَّدِيءِ، وَالمُزْرِيِّ سِوَى بِإِعْلَانِ الثَّوْرَةِ، وَالتَّمَرُّدِ عَلَى كُلِّ تِلْكَ النُّظُمِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ المُتَصَهْيِنَةِ، وَخَلْقِ مُقَدِّمَاتٍ لِحَالَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ شَعْبِيَّةٍ ثَائِرَةٍ تَجْتَاحُ، وَتَقْضِي عَلَى تِلْكَ الأَنْظِمَةِ وَالحُكُومَاتِ، وَالمَمَالِكِ، وَالمَشِيخَاتِالعَمِيلَةِ، وَالخَانِعَةِ لِلْوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ، وَالكِيَانِ الصُّهْيُونِيِّ الَّتِي كَبَّلَتِ الشُّعُوبَ العَرَبِيَّةَ وَالإِسْلَامِيَّةَ بِمُجْمَلِهَا، وَمِنْ هُنَا سَيَتِمُّ تَحْرِيرُ فِلَسْطِينَ كُلَّ فِلَسْطِينَ مِنَ النَّهْرِ إِلَى البَحْرِ بِإِذْنِ اللهِ تعالى وحولِهِ.

"وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ".

دَوْلَةُ البروفيسُور/ عَبْدِ العَزِيزِ صالح بن حبتُور
عُضْوِ المَجْلِسِ السِّيَاسِيِّ الأَعْلَى فِي الجُمْهُورِيَّةِ اليَمَنِيَّةِ / صَنْعَاء

الدكتور يزيد الصايغ

٢٠٢٥/٥/٢٩

رضا عبد السلام

(تلخيص بتصرف)

الجمهورية الثانية: إعادة بناء مصر وإعادة صياغة العقد الاجتماعي

تعتبر إعادة صياغة العقد الاجتماعي في مصر تحت حكم السيسي هدفًا حكوميًا واعيًا، وليس مجرد نتيجة لضغوط المُقرضين الدوليين أو تحدٍّ فُرض على الحكومة. على سبيل المثال، لم يكن خفض دعم الخبز الذي أدى إلى زيادة سعره بنسبة ٤٠٠٪ في مايو ٢٠٢٤ مطلبًا من صندوق النقد الدولي، كما لم يشترط البنك الدولي دعمه لبرامج الدعم النقدي الحكومية "تكافل وكرامة" في عام ٢٠١٥ بمعايير مثل التحاق الأطفال بالمدارس أو التقييمات الطبية. في حديثه بعد انتخابه عام ٢٠١٤، أكد السيسي أن إصلاح الدعم ضروري لأن "الأغنياء يحصلون على دعم أكثر من الفقراء"، موضحًا أن الهدف هو تحقيق عقد اجتماعي جديد "لا يحصل فيه أحد على شيء مقابل لا شيء".

١ـ تأثير التقشف على المشهد الاجتماعي

تُعد سياسات التقشف التي تنطوي على تقليص الرعاية الاجتماعية التي تقدمها الدولة ظاهرة عالمية، ومصر ليست استثناءً. يلفت الانتباه في الحالة المصرية قدرة السيسي على إحداث تغييرات جذرية دون أدنى احتجاج شعبي، فيما كان يُعتبر العقد الاجتماعي الذي نشأ في عهد عبد الناصر. حدث خفض دعم الغذاء والطاقة، وما رافقه من ارتفاع في أسعار السلع الأساسية ورسوم الخدمات والمرافق المختلفة، على نطاق ووتيرة لم يكن من الممكن تصوّرها في عهد أسلاف السيسي. يعكس هذا جزئيًا فعالية القمع الحكومي وانتشار الخوف، لكنه يكشف أيضًا عن تحول في المواقف العسكرية، حيث في حين كان المجلس الأعلى للقوات المسلحة يعتبر برنامج الخصخصة الحكومي تهديدًا للاستقرار الاجتماعي والسياسي في عهد مبارك، إلا أنه لم يُبدِ أي قلق مماثل في عهد السيسي.

٢ـ التركيز على ضبط النمو السكاني

يترافق العقد الاجتماعي الجديد مع التركيز على ضبط النمو السكاني، والذي صيغ في إطار الحاجة إلى تعزيز الناتج الاقتصادي والاستدامة المالية. على سبيل المثال، في أوائل عام ٢٠٢١، دعا السيسي إلى خفض النمو السكاني إلى "٤٠٠ ألف نسمة على الأقل سنويًا"، وهو رقم أقل بكثير مقارنة بالزيادة السكانية التي شهدتها مصر في السنوات الأخيرة. هذه الدعوات تهدف إلى تحسين الاستدامة المالية، وتعكس التوجه نحو تقليص الزيادة السكانية لمواكبة احتياجات الدولة الاقتصادية.

٣ـ القيم الاجتماعية وأخلاقيات العمل

في موازاة ذلك، روّج السيسي لما يوصف في علم الاجتماع الغربي بـ "أخلاقيات العمل البروتستانتية": "لن تحيا البلاد أو تنمو إلا من خلال العمل والمشقة والتضحية والإخلاص والصدق - وليس من خلال الكلمات فقط". في هذا السياق، تعاملت إدارة السيسي مع عدد كبير من المصريين باعتبارهم "فائضًا سكانيًا"، غير قادرين على إعادة إنتاج أنفسهم من خلال العمل المأجور، ويخضعون لإدارة الأمن من قبل الشرطة.

٤ـ العواقب الاجتماعية للتقشف

كانت العواقب الاجتماعية لهذه السياسات ملحوظة. منذ عام ٢٠٢٠، حجبت الحكومة إحصاءات الفقر، مع أن التقارير المستقلة تشير إلى أن الفقر قد ارتفع إلى مستويات غير مسبوقة. فعلى سبيل المثال، في يوليو ٢٠٢٢، قدّرت دراسة مستقلة أن الفقر قد وصل إلى ٣٦,٧٪، في حين أن عدد "غير الفقراء" انخفض من ٤٥٪ في عام ٢٠٢٠ إلى ٣٦٪. كما توقّع البنك الدولي زيادة في نسب الفقر بنسبة ٣,٦٪ في ٢٠٢٤ نتيجة لجائحة كوفيد-١٩، وحرب أوكرانيا، وانخفاض قيمة العملة.

٥ـ تزايد انعدام الأمن الغذائي وسوء التغذية

يمثل انعدام الأمن الغذائي وسوء التغذية مشكلة متنامية، حيث يتلقى ٦٩ مليون شخص دعمًا لشراء الخبز اعتبارًا من يناير ٢٠٢٥. كما أن المناطق الريفية تتحمل وطأة الفقر متعدد الأبعاد بمعدل ضعف ما هو عليه في المناطق الحضرية. وهذا يعكس انقسامًا اجتماعيًا حادًا بين الطبقات الفقيرة والمناطق الأكثر ازدهارًا، وهو ما يزيد من التحديات التي تواجه النظام في الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والسياسي.

٦ـ الاقتصاد غير الرسمي وتزايد التفاوتات

على الرغم من بعض المحاولات لتخفيف آثار هذه السياسات من خلال برامج دعم نقدي مثل "تكافل وكرامة"، إلا أن هذه البرامج لم تُساهم بشكل كافٍ في الحد من تزايد الفجوات الاجتماعية. فقد ارتفعت نسبة العمال في الاقتصاد غير الرسمي إلى ٤٤,٣٪ من إجمالي العاملين في القطاع الخاص، والذين لا يحصلون على أي ضمان اجتماعي أو حماية قانونية. هذا يُبرز التفاوت الكبير بين العاملين في القطاع الرسمي وغير الرسمي، وهو ما يعمق الانقسامات الاقتصادية.

٧ـ التفاوت في الأجور والدخل

يُظهر النظام المزدوج في الأجور والدخل في عهد السيسي تزايد التفاوت الاجتماعي بشكل لافت. فبينما حصلت الدوائر الانتخابية الأساسية للنظام على زيادات أكبر في الرواتب والمزايا الأخرى، شهد العسكريون زيادات هائلة في رواتبهم ومعاشاتهم، لتصل إلى عشرة أضعاف ما كانت عليه بين عامي ٢٠١٤ و٢٠١٩. في المقابل، تعاني الطبقة المتوسطة من تقلص قدرتها الشرائية نتيجة للتضخم وتراجع قيمة الجنيه المصري، مما أدى إلى زيادة التفاوتات الطبقية في المجتمع.

٨ـ التوزيع المكاني للاختلاف الاجتماعي

شهدت مصر أيضًا عمليات توزيع مكاني جديدة بين الطبقات الاجتماعية. حيث تتزايد المجتمعات السكنية المغلقة التي يسكن فيها الأثرياء، في حين تُترك المناطق الفقيرة على أطراف المدن الكبرى أو في مناطق معزولة. هذا الفصل المكاني يعزز الانقسامات الاجتماعية بين الأغنياء والفقراء، ويُصعّب من فرص التنقل الاجتماعي. ويُظهر هذا كيف أن الحكومة تدير التفاوت الاجتماعي من خلال التخطيط الحضري والسيطرة على الفضاءات السكنية بشكل يوسع من الفجوات الطبقية.

٩ـ التحديات المستقبلية لاستقرار العقد الاجتماعي

في النهاية، يواجه العقد الاجتماعي الجديد في مصر تحديات كبيرة تتعلق بالفقر المتزايد، وتدهور الطبقة الوسطى، وتزايد التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية. في ظل هذه التحديات، يبقى السؤال حول ما إذا كان النظام المصري قادرًا على الاستمرار في استدامة هذا العقد الاجتماعي الجديد دون التأثير الكبير على استقرار الدولة.

١٠ـ التأثيرات الاقتصادية على الطبقة المتوسطة

الطبقة المتوسطة في مصر، التي كانت تعتبر ركيزة أساسية في استقرار الدولة الاجتماعي والسياسي، تتعرض لضغوط كبيرة نتيجة للسياسات الاقتصادية المتبعة. فقد تراجعت قدرتها الشرائية بشكل كبير بسبب ارتفاع التضخم، والانخفاض المستمر في قيمة الجنيه المصري، وهو ما أثر بشكل ملموس على أفراد هذه الطبقة في قدرتهم على الوصول إلى الخدمات الأساسية مثل التعليم والصحة. ومع استمرار هذه الضغوط، تآكلت الطبقة الوسطى بشكل تدريجي، مما يهدد بنقل المزيد من الأسر إلى فئة الفقراء.

من جهة أخرى، تزايدت محاولات الطبقات العليا للاستثمار في الخارج، مع تدهور الوضع الاقتصادي الداخلي. هذه الظاهرة تعكس تفاقم الفجوات بين الطبقات الاجتماعية وتزايد التفاوتات الاقتصادية التي تضر باستقرار المجتمع المصري. يُظهر هذا الوضع كيف أن الطبقة المتوسطة التي كانت تمثل أساسًا للاستقرار الاجتماعي والسياسي في الماضي، أصبحت اليوم تعاني من التهميش والتراجع في ظل السياسات الاقتصادية الحالية.

١١ـ توسيع الفجوات الطبقية والمجتمعية

في الوقت الذي تستمر فيه الحكومة في تطبيق سياسات تقشفية وممارسات اقتصادية مشددة، تزداد الفجوات الطبقية بشكل أكبر. فقد أدى التقشف إلى ازدياد نسبة الأشخاص الذين يعانون من الفقر، في حين تتوسع الطبقات الثرية بشكل أكبر، ما يعكس تزايد التفاوت في توزيع الثروات. تُظهر هذه السياسات كيف أن الانقسام بين الطبقات الاجتماعية يزداد حدة، حيث يتم منح الفئات القريبة من النظام امتيازات أكبر على حساب الأكثر فقراً. هذا التوسع في الطبقات الاجتماعية يساهم في تعزيز الانقسام الطبقي ويزيد من هشاشة الاستقرار الاجتماعي في البلاد.

١٢ـ تأثير القمع السياسي على استقرار العقد الاجتماعي

على الرغم من المحاولات الحكومية للتحكم في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، إلا أن القمع السياسي الذي مارسته الدولة قد يكون له تأثير كبير على استقرار العقد الاجتماعي على المدى الطويل. فالعديد من المراقبين يلاحظون أن القمع المستمر للحريات السياسية وحقوق الإنسان، بالإضافة إلى تهميش المعارضة السياسية والمجتمع المدني، قد يزيد من استياء المواطنين ويؤدي إلى احتجاجات اجتماعية أو سياسية مستقبلية.

من الواضح أن الحكومة تعتمد بشكل كبير على الأجهزة الأمنية والعسكرية لتثبيت السلطة، مما يعزز الاستبداد في البلاد. ومع ذلك، فإن هذا القمع قد يواجه تحديات في المستقبل، حيث يمكن أن يؤدي إلى زيادة الضغوط الاجتماعية من خلال ارتفاع معدلات البطالة والفقر، ما يزيد من احتمالية حدوث تغييرات اجتماعية غير متوقعة.

١٣ـ الآفاق المستقبلية للعقد الاجتماعي الجديد

عند النظر إلى المستقبل، من الواضح أن العقد الاجتماعي الذي يسعى السيسي إلى فرضه لا يخلو من تحديات. فقد شكلت السياسات التقشفية جزءًا أساسيًا من هذا العقد، لكنها أدت إلى زيادة الفقر، والتفاوت الاجتماعي، وتدهور الطبقة الوسطى. ومع استمرار الارتفاع في الأسعار وتزايد معدلات البطالة، فإن استقرار هذا النظام سيعتمد على قدرة الحكومة على التعامل مع هذه التحديات الاقتصادية والاجتماعية.

إن العقد الاجتماعي الجديد الذي وضعه السيسي قد يواجه صعوبة في الحفاظ على استدامته في حال استمر تزايد الفقر وارتفاع التفاوت الاجتماعي. وفي ظل غياب خيارات سياسية حقيقية للمشاركة أو الاحتجاج، فإن التهديدات الاقتصادية قد تتصاعد لتشكل تحديات أكبر أمام استقرار النظام على المدى البعيد.

١٤ـ التصعيد المستمر في السياسات الاقتصادية والتقشفية

على الرغم من تبرير الحكومة للسياسات الاقتصادية التقشفية بأنها ضرورية لتحقيق الاستدامة المالية والاقتصادية، فإن هذه السياسات تثير القلق حول قدرتها على الحفاظ على استقرار المجتمع على المدى الطويل. فالزيادة المستمرة في أسعار السلع الأساسية، وتراجع القدرة الشرائية للأسر، خاصة تلك التي تعتمد على القطاع العام أو القطاع غير الرسمي، تشير إلى تدهور الظروف المعيشية لشرائح واسعة من الشعب المصري. وهذا الأمر يعزز من استياء الجمهور الذي يواجه صعوبات اقتصادية مستمرة، وهو ما قد يؤدي في المستقبل إلى انقسامات اجتماعية أعمق

١٥ـ الاعتماد على المساعدات الخارجية

لقد ظل الاقتصاد المصري عائمًا بفضل تدفق ما لا يقل عن ٢٠٠ مليار دولار من القروض والمنح والمساعدات العينية والاستثمارات ذات الدوافع السياسية من دول الخليج والمؤسسات المالية الدولية ووكالات التنمية منذ عام ٢٠١٣ - إلى جانب المساعدات العسكرية الأمريكية التي بلغ مجموعها نحو ١٣ مليار دولار، وواردات الأسلحة التي تبلغ قيمتها تقريبًا نفس المبلغ الذي تعهدت به الحكومات الأوروبية في نفس الفترة. ومن الواضح أن الوصول إلى أسواق رأس المال العالمية أمر حيوي للغاية للمالية العامة المصرية. ولهذا السبب تولي الحكومة أهمية كبيرة للتصنيفات الائتمانية الدولية، ولهذا السبب تلجأ إلى حيل محاسبية (مثل إبقاء المشاريع الضخمة خارج الميزانية الرسمية للدولة حتى لا تؤثر على التصنيفات)، وكل ذلك يتم بمعرفة كاملة وتواطؤ ضمني من شركائها الخارجيين.

ولابد أن نتحدث هنا عن ديون مصر للصين إعلان الرئيس الصيني عن مبادلة ديون مصر يعني أن الصين ستقبل بعض الأصول أو المشروعات بدلاً من سداد الديون المصرية، وهو حل يُعتبر بديلاً عن دفع الأموال النقدية، في محاولة لتخفيف الضغط على الاقتصاد المصري الذي يعاني من أزمة في سداد الديون. هذا النوع من المعاملات يُعرف بـ"مبادلة الديون" أو "استبدال الديون"، حيث تستبدل الدولة المدينة أموالها المستحقة بأصول مملوكة لها مثل الشركات أو الممتلكات العقارية.

تأثير المبادلة على الاقتصاد المصري:

أ- تحسين وضع الجنيه المصري:

o بدلًا من الضغط على الجنيه من أجل جمع الدولارات اللازمة لسداد الديون، يمكن لمصر تقليص حاجتها إلى الدولار في هذه الصفقة. هذا قد يساعد في تخفيف الضغط على الجنيه ويعمل على تقليل الفجوة بين سعر الصرف الرسمي والسعر في السوق السوداء.

ب- تخفيف الضغوط على الدولار:

o مصر في حاجة ماسة للعملة الصعبة لسداد ديونها، وعندما يتم التوصل إلى اتفاق مع الصين، قد لا تحتاج مصر للبحث عن عملة صعبة كما كانت في السابق. هذا يمكن أن يُسهم في استقرار سعر الدولار في السوق المحلية.

ت- تحسين المفاوضات مع صندوق النقد الدولي:

o إذا تم تنفيذ هذه المبادلة، قد يؤدي ذلك إلى تحسين وضع مصر في التفاوض مع صندوق النقد الدولي بشأن القروض المستقبلية، حيث سيتم تقليل الضغوط الناتجة عن سداد الديون.

لماذا تقبل الصين بهذا الاتفاق؟

- المصلحة الاستراتيجية: الصين تتطلع إلى زيادة نفوذها في مناطق استراتيجية مثل قناة السويس والمناطق الحيوية التي تمر عبر "الحزام والطريق". بدلاً من سداد الديون نقدًا، يمكن للصين أن تحصل على أصول استراتيجية، مثل مشروعات في مصر، التي ستخدم مصالحها الاقتصادية والسياسية.
- استثمار طويل الأجل: الصين لا تقتصر على امتلاك الأصول فحسب، بل يمكنها أيضًا استثمارها في المستقبل بما يخدم أهدافها في المنطقة، خصوصًا في مجالات مثل النقل والموانئ.

تداعيات على صندوق النقد الدولي:

- تخفيف الضغط: مصر قد تجد نفسها في وضع أفضل للتفاوض مع صندوق النقد الدولي حول شروط القروض المستقبلية، حيث أن تقليص الحاجة للعملة الصعبة قد يُحسن وضع الاقتصاد ويجعل الدولة أكثر قدرة على الوفاء بالتزاماتها.

إجمالًا، مبادلة الديون مع الصين قد يكون لها تأثير إيجابي على الجنيه المصري والاستقرار الاقتصادي في المدى القصير، بشرط أن يتم تنفيذ الاتفاق بشكل يحقق مصلحة الطرفين ويحفظ السيادة الاقتصادية لمصر.

١٦ـ البيروقراطية: صديق أم عدو؟

حتى في الوقت الذي يُعيد فيه السيسي بناء نموذج مُعدّل جذريًا من رأسمالية الدولة المصرية، فإنه يُفرّغ الجناح المدني للدولة ويُلغي مؤسسات الحكم في جوانب رئيسية. ويعود ذلك إلى تصوره أن القطاع العام غير كفء، وقناعته بأن القيادة النشيطة التي يُجسّدها هي وحدها القادرة على بناء دولة جديدة وتحقيق النهضة الوطنية. ويترتب على ذلك أن عكس مسار تدهور مؤسسات الدولة القائمة وتحقيق مكاسب في الكفاءة يتطلب تركيز سلطة اتخاذ القرار في يد الرئيس، وهو ما عنى على مدى العقد الماضي تجاوز اللوائح الحكومية للعمل بشكل مستقل عن القيود المؤسسية الراسخة. وقد قاد الجيش، الذي يُشارك السيسي رؤيته العامة، مبادراته في المجالات الإدارية والاقتصادية والإعلامية، مكتسبًا بذلك وضع حكومة ظل بحكم الأمر الواقع.

١٧ـ ضغط القطاع العام وتحقيق مكاسب في الكفاءة

لقد ضغط السيسي على القطاع العام بشكل غير مسبوق في سعيه لبناء دولة جديدة. وكانت الحاجة إلى الإصلاح الإداري مُلحة منذ توليه منصبه. كانت البيروقراطية الحكومية متضخمة وعانت من انخفاض الإنتاجية والكفاءة: فقد وظفت ٣١ في المائة من إجمالي القوى العاملة في مصر في عام ٢٠١٢، عشية الاستيلاء العسكري، مع تسريح أكثر من نصف جميع الموظفين وتوظيفهم جزئيًا وفقًا لبعض الروايات. ساهم قانون الخدمة المدنية رقم ٨١ لعام ٢٠١٦ في خفض صافي فاتورة أجور القطاع العام بنحو ٣,٥ في المائة من الناتج المحلي الإجمالي بحلول عام ٢٠١٩ (مقارنة بعام ٢٠١٤) - متجاوزًا الهدف المتفق عليه مع صندوق النقد الدولي البالغ ٥,٥ في المائة من الناتج المحلي الإجمالي بحلول عام ٢٠٢٠-٢٠٢١. تم تشديد متطلبات الالتحاق بالخدمة المدنية وتم تجميد التوظيف الجديد في العديد من القطاعات، مما يعكس التزام الحكومة بخفض التوظيف العام بنسبة ٣٨ في المائة في عشر سنوات. ساهم هذا، من بين أمور أخرى، في نقص ٤٦٩٠٠٠ معلم في نظام التعليم العام بحلول عام ٢٠٢٤. سعت إدارة السيسي في الوقت نفسه إلى احتواء السخط داخل القطاع العام. القطاع، مما أدى إلى زيادة الأجور ثماني مرات بين عامي ٢٠١٧ و٢٠٢٤. ولكن حتى مع مزايا الخدمة الاجتماعية، فقد انخفضت القوة الشرائية لهذه الدائرة الانتخابية من الطبقة المتوسطة بشكل حاد في أعقاب انخفاضين كبيرين في قيمة الجنيه المصري منذ عام ٢٠١٦، وما صاحب ذلك من تضخم، وتخفيضات كبيرة في الدعم.

١٨ـ سيطرة السيسي على هيئات الرقابة

وبالتوازي مع ذلك، ركز السيسي سلطاته الإدارية من خلال تولي السيطرة المباشرة على أهم هيئات الرقابة في مصر. وصوّت برلمان موالٍ في أكتوبر ٢٠١٧ على إنهاء الوضع المستقل السابق لهيئة الرقابة الإدارية من خلال تمكين الرئيس من تعيين رئيسها وإقالته. وبفضل صلاحياتها في التحقيق القضائي، تُعد الهيئة أقوى هيئة تدقيق عامة في مصر، والتي استخدمها الرؤساء المتعاقبون لمعاقبة المعارضين وإبقاء المؤيدين تحت السيطرة. إن تصنيفها الإضافي كوكالة حكومية تُصنف عقودها على أنها سرية "لأسباب تتعلق بالأمن القومي" يعزز إعفائها من اللوائح والإجراءات الحكومية المعتادة. وبالمثل، وُضع الجهاز المركزي للمحاسبات، الذي يراقب أداء جميع الهيئات العامة وامتثالها المالي، تحت السيطرة الرئاسية المباشرة، وتُحجب الآن تقاريره السنوية، التي كانت تُنشر سابقًا. كما أُخضعت السلطة القضائية، التي يُمكن القول إنها الفرع الحكومي الوحيد المستقل حقًا، للرقابة. قدّم السيسي تعديلات دستورية في عام ٢٠١٩ ليُعيّن نفسه رئيسًا للمجلس الأعلى للهيئات والهيئات القضائية، مانحًا بذلك الرئيس سلطة كاملة على الشؤون القضائية، بما في ذلك تعيين القضاة.

١٩ـ توسيع دور القضاء العسكري

وبالمثل، دمج دستور عام ٢٠١٩ القضاء العسكري في الهيكل القضائي الأوسع، مع نفس الحقوق التي يتمتع بها نظراؤه المدنيون. علاوة على ذلك، في يوليو ٢٠٢٢، عيّن السيسي رئيس هيئة القضاء العسكري نائبًا أول لرئيس المحكمة الدستورية العليا. وتؤكد هذه التطورات الدور المحوري للقوات المسلحة المصرية في ترسيخ إدارة السيسي وفي تحديد طابع الجمهورية الثانية. كما أنها تُشرّع وتُطبّق اللجوء المتزايد إلى المحاكم العسكرية لمحاكمة المدنيين في قضايا لا علاقة لها بأفراد القوات المسلحة أو منشآتها. وتشمل هذه "الجرائم التي تُلحق الضرر بالاحتياجات الأساسية للمجتمع"، من بينها المواد الغذائية والسلع غير الغذائية والمنتجات الأساسية كالوقود. وقد اتسع نطاق هذا الدور بموجب مراسيم رئاسية متتالية منذ عام ٢٠١٤، تُكلّف القوات المسلحة المصرية بحماية المرافق والبنية التحتية العامة، وتمنح أفراد القوات المسلحة صلاحيات الضبط القضائي لإنفاذ القانون. في يناير ٢٠٢٤، أقرّ البرلمان مشروع قانون يُدمج هذه الأحكام في قانون واحد، مُدّعيًا أنها حق دستوري للقوات المسلحة.

٢٠ـ إعادة تشكيل الاستبداد المصري

النتائج مُتناقضة. فقبل كل شيء، اتسمت الجمهورية الثانية بسلطة دولة مُستبدة ومُفرطة في آن واحد. هجوم السيسي المُستمر والمباشر على بيروقراطية الدولة لقد أدى خضوع أجهزة الرقابة لسيطرته المباشرة إلى نفور القطاع العام وإضعاف المؤسسات التي يحتاجها لتحقيق الكفاءة وتحقيق طموحاته بشكل عام. ومع ذلك، فإن إصراره على نهجه يشهد على الأهمية القصوى التي يوليها لترسيخ سيطرته السياسية وتحقيق رؤيته الاجتماعية وتطلعات ناخبيه الرئيسيين، وتحديدًا مؤسسات الدولة الرئيسية التي تشكل ائتلافه الحاكم وأنصاره من الطبقة المتوسطة العليا. إن النقل الإضافي لأصول الدولة وتدفقات الإيرادات إلى الهيئات الخاضعة لسيطرته، مثل التضمين العكسي لشبكات النظام في بيروقراطية الدولة، يزيد من طمس الحدود بين الملكية العامة والخاصة، ويؤدي إلى ظهور اقتصاد هجين يجمع بين قطاعين عاميين منفصلين: أحدهما يرأسه مجلس الوزراء والآخر يخضع مباشرة للرئيس.

٢١ـ الاستبداد الاقتصادي: تآكل الطبقة الوسطى

في ظل النظام الاقتصادي الذي يعتمد على العنف والسلطة المفرطة، يعاني القطاع الاقتصادي من أزمات مزمنة تؤثر بشكل كبير على الطبقة الوسطى. حيث تزايدت معدلات الفقر، وتآكلت الطبقة الوسطى بشكل ملحوظ بسبب الإجراءات التقشفية التي تتضمن تقليص الدعم الاجتماعي، وزيادة الضرائب، وأيضًا انخفاض الأجور الحقيقية على خلفية التضخم المتصاعد.

لقد كانت سياسة "الباب الدوار" إحدى النتائج الجانبية لهذه التوجهات، حيث يواجه العديد من العمال والفئات الاقتصادية المتوسطة صعوبة في الحصول على فرص عمل ثابتة أو أجر مناسب. من جهة أخرى، تصاعدت الهوة بين الأثرياء والفقراء، وتضاءل دور الطبقة المتوسطة التي كانت سابقًا تمثل القوة الدافعة للاستقرار الاجتماعي والسياسي في مصر.

٢٢ـ التأثيرات الاجتماعية على الشباب والنقابات العمالية

تشير السياسات القمعية المتبعة إلى تأثيرات سلبية على الشباب المصري، حيث يواجهون قمعًا سياسيًا، وصعوبة في التفاعل مع النقابات العمالية أو المشاركة في الفعاليات العامة. العديد من الشباب الذين خرجوا للتظاهر ضد النظام في السنوات السابقة تم ملاحقتهم ومحاكمتهم، ما خلق بيئة من الخوف وعدم القدرة على المطالبة بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية.

نفس الاتجاهات تنطبق على النقابات العمالية التي تم تجميد أنشطتها أو تجنيدها لدعم سياسات الحكومة، حيث يتم قمع أي تحرك للمطالبة بالحقوق العمالية أو الظروف المحسنة للعمل، وهو ما يعزز الاستبداد الاقتصادي الذي يعيق التقدم في الحقوق العمالية.

٢٣ـ الاستمرار في استخدام العنف كوسيلة للحفاظ على السلطة

أصبحت الدولة السجنية في مصر وسيلة رئيسية للحفاظ على السيطرة السياسية في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة. يستمر النظام في استخدام العنف المفرط ضد المتظاهرين والمعارضين، مما يعكس أن القمع جزء أساسي من استراتيجيات السيسي السياسية. في هذا السياق، تُستخدم المؤسسات الأمنية والعسكرية ليس فقط لحماية النظام، ولكن أيضًا لتوجيه الرسائل للأفراد والمجموعات التي قد تفكر في معارضة السياسات الحكومية. على الرغم من أن هذا العنف قد يوفر للنظام استقرارًا مؤقتًا، إلا أنه يعزز من تآكل الثقة في الدولة وقدرتها على تقديم حلول سياسية واجتماعية مستدامة.

٢٤ـ تأثير القمع على الحياة اليومية للمواطنين

تتجاوز آثار القمع السياسي والاقتصادي حدود المعارضين السياسيين والنشطاء الحقوقيين لتشمل الحياة اليومية للمواطنين العاديين. فكلما ضاق الخناق على المعارضة السياسية، زاد الخوف بين المواطنين من التفاعل مع الأحداث الاجتماعية أو السياسية، وهو ما يعزز من الإحساس بالعزلة والانعزال الاجتماعي. في هذا السياق، تحولت العديد من الأنشطة اليومية إلى أنشطة مراقبة ذاتية حيث يتجنب الأفراد التعبير عن آرائهم أو حتى التفاعل مع قضايا سياسية خوفًا من الملاحقة أو العواقب القانونية.

٢٥ـ الهيمنة على الإعلام ورواية الدولة

تسعى إدارة السيسي إلى توجيه الخطاب العام في مصر بالكامل لصالح النظام، وهو ما يتم عبر الهيمنة على وسائل الإعلام المختلفة. من خلال الاستحواذ على شبكات تلفزيونية وإذاعية وصحف إلكترونية، تسيطر الدولة بشكل كامل على التغطية الإعلامية، سواء كان ذلك في عرض الأخبار أو من خلال البرامج الحوارية. هذا التحكم في وسائل الإعلام يُستخدم لترسيخ صورة النظام أمام الجمهور، والتأكيد على "إنجازات" الحكومة في مجالات البنية التحتية والاقتصاد. كما يُعتبر الإعلام أداة قوية في مواجهة المعارضة السياسية، حيث يتم قمع أي صوت معارض من خلال الرقابة أو الضغط على وسائل الإعلام. هذا الاستحواذ على الإعلام يمكّن النظام من إنتاج رواية متكاملة تدعم شرعيته، وتروج لسياساته، وتمنع أي نقد موضوعي. ويهدف هذا التوجه إلى تقليل مساحة المعارضة السياسية، ويُعتبر جزءًا من استراتيجية شاملة لإحكام السيطرة على كافة مؤسسات الدولة.

٢٦ـ القمع الرقمي وتوسيع المراقبة

أصبح التحول الرقمي جزءًا رئيسيًا من أدوات القمع التي يعتمد عليها النظام. من خلال تقنيات المراقبة المتطورة، مثل برامج التجسس على الهواتف المحمولة، وأنظمة مراقبة الإنترنت، تتمكن الدولة من تتبع الأنشطة الإلكترونية للمواطنين، بما في ذلك محادثاتهم على شبكات التواصل الاجتماعي. هذه الأنظمة تمنح الحكومة القدرة على مراقبة المواطنين عن كثب، والتدخل في أي وقت لفرض رقابة أو قمع أي تحركات ضد النظام.

من خلال هذا النهج الرقمي، تمكن السيسي من تعزيز الرقابة الداخلية والخارجية على المعارضين، سواء داخل مصر أو في الخارج. وقد تم استخدامها لملاحقة النشطاء السياسيين والصحفيين، بما في ذلك المعارضين في المنفى، الذين يتم مراقبتهم وتهديدهم عبر تجميد أصولهم أو استهداف عائلاتهم.

٢٧ـ العواقب الاجتماعية للرقابة

تشير الدراسات إلى أن الرقابة المستمرة والمراقبة الرقمية تخلق بيئة من الخوف والقلق بين المواطنين. حيث يشعر الأفراد بأنهم في حالة من المراقبة المستمرة، مما يحد من حرية التعبير، ويجعلهم أكثر ترددًا في التعبير عن آرائهم السياسية أو الاجتماعية. هذه البيئة المرهقة تؤدي إلى تآكل الثقة بين المواطنين والدولة، حيث يفقد الناس الأمل في إمكانية التغيير السياسي، مما يساهم في تدهور المشاركة العامة.

٢٨ـ التأثير على المجال العام

الهيمنة على الإعلام والمراقبة الرقمية لها تأثير بعيد المدى على المجال العام في مصر. فقد أدى ذلك إلى خلق بيئة إعلامية أحادية تروج لرواية واحدة، وتُغلق الفضاء السياسي أمام كافة الآراء المعارضة. وهذا يحول الإعلام إلى أداة دعائية للنظام بدلاً من أن يكون وسيلة للتنوير والنقد الموضوعي. بالإضافة إلى ذلك، فإن القمع المستمر والحظر الإعلامي يساهم في تهميش المجتمع المدني، ويقلل من قدرة المواطنين على التعبير عن احتجاجاتهم بشكل علني.

٢٩ـ الاستدامة والآثار على المستقبل

على الرغم من أن هذه السياسات قد توفر للنظام استقرارًا ظاهريًا على المدى القصير، إلا أن آثارها على المدى البعيد قد تكون ضارة. فالرقابة على وسائل الإعلام وتقييد حرية التعبير تساهم في زيادة الاستقطاب الاجتماعي، وتقليص الثقة في مؤسسات الدولة. مما يعزز من تآكل الشرعية السياسية للنظام على المدى البعيد، ويزيد من التوترات الداخلية التي قد تؤدي إلى المزيد من القمع الاجتماعي والسياسي.

٣٠ـ الهيمنة على الخطاب العام

الرقابة تُكمل حتمًا الهيمنة المباشرة على وسائل الإعلام. أشار تقرير وزارة الداخلية البريطانية لعام ٢٠٢٣ بشأن مصر إلى ما يلي:
تسمح قوانين متعددة للسلطات بمراقبة المحتوى الإلكتروني دون موافقة قضائية، وحجب أي موقع إلكتروني يُعتبر تهديدًا للأمن القومي، وهو شرط فضفاض عُرضة للإساءة. منذ عام ٢٠١٧، حظرت السلطات المصرية مئات المواقع الإلكترونية، واستمرت في ذلك حتى عام ٢٠٢٢. وقد شُددت تعديلات قانون العقوبات التي أُقرت عام ٢٠٢١ العقوبات على الصحفيين الذين يغطون جلسات المحاكمات الجنائية دون موافقة مسبقة، وشددت العقوبات على كشف معلومات سرية. كما زادت التعديلات من الغرامات المحتملة، وسمحت بعقوبات سجن تتراوح بين ستة أشهر وخمس سنوات على هذه الجرائم.
بالتوازي مع ذلك، يسمح قانون الجرائم الإلكترونية بحجب المواقع الإلكترونية التي تُعتبر إجرامية أو تُشكل تهديدًا للأمن القومي والاقتصاد. استخدمت الأجهزة الأمنية هذا الإطار القانوني لاعتقال الصحفيين قبل أحداث مهمة مثل الانتخابات البرلمانية، ومنع وسائل الإعلام الخاضعة لسيطرتها من تغطية أخبار جماعات المعارضة. علاوة على ذلك، عدّل قانون العقوبات في عام ٢٠٢١ جمع الإحصاءات أو الدراسات أو غيرها من البيانات المتعلقة بالقوات المسلحة وعملها في أي مجال - والذي يشمل نظريًا أنشطتها التجارية والعامة التي يُروّج لها كثيرًا - جريمة يعاقب عليها القانون دون الحصول على موافقة كتابية مسبقة من وزارة الدفاع.

٣١ـ التسويق لنظام السيسي من خلال الإعلام

وتروج وسائل الإعلام التابعة للنظام باستمرار للسيسي والقوات المسلحة المصرية. ومن الأمثلة على ذلك المسلسل التلفزيوني "الاختيار": الذي رعته إدارة الشؤون المعنوية بالقوات المسلحة المصرية، وعُرض لأول مرة خلال شهر رمضان المبارك عام ٢٠٢٠، حيث صوّر الرئيس في صورة بطولية، واستشهد بعالم السنة ابن تيمية (١٢٦٣-١٣٢٨)، الذي جادل بأن من واجب المؤمنين طاعة حكامهم حتى لو كانوا طغاة. وقد قامت القوات المسلحة المصرية بمشاريع إعلامية أخرى، بما في ذلك إطلاق "مصري" في عام ٢٠٢٢، وهو "مشروع ثقافي متكامل" جديد، بالتعاون مع وسائل الإعلام التي تسيطر عليها الحكومة، ويضم "سلسلة من المهرجانات والاحتفالات والمسابقات... تُنظم في المدارس والجامعات بالتنسيق مع قوات الدفاع الشعبي". أدار رئيس إدارة الشؤون المعنوية بالقوات المسلحة المصرية الكثير من الجهود الإعلامية للنظام بعد عام ٢٠١٤، قبل أن يرأس مكتب الرئيس في عام ٢٠١٨ ثم يصبح مستشارًا إعلاميًا للسيسي وينضم إلى المخابرات العامة. المجموعة القابضة التابعة للمديرية، شركة يونايتد ميديا سيرفيسز، بعد تعديل إداري في عام ٢٠٢٤.

٣٢ـ التحديات المالية والإدارية لوسائل الإعلام الحكومية

كما تساعد السيطرة على وسائل الإعلام النظام على التصدي للهيئة الدينية الإسلامية الوحيدة التي تتمتع بأي قدر من الاستقلالية - الأزهر، مقر الإمام الأكبر وهيئة كبار العلماء، وبالتالي أعلى سلطة دينية للمسلمين في البلاد - بعد أن أكد سابقًا سيطرته الكاملة على وزارة الأوقاف ودار الإفتاء، وهي مكتب الإرشاد الإسلامي والأحكام الشرعية في وزارة العدل.
كشف تغيير القيادة في شركة يونايتد ميديا سيرفيسز عن أوجه قصور تضمنت، وفقًا للتقارير، خسائر مالية كبيرة بسبب كل من تدني جودة معظم إنتاجها وسوء إدارتها. ووفقًا لموقع "مدى مصر" الإخباري والتحليلي، وهو أحد المواقع القليلة التي حافظت على استقلاليتها، كان مكتب الرئيس يعتزم، اعتبارًا من أواخر عام ٢٠٢٤، إجراء مراجعة مالية لشركة "يونايتد ميديا سيرفيسز" لمعالجة المخالفات مثل تضخم الرواتب والمكافآت، وتضخم أسعار المشتريات، والسفر إلى الخارج غير الضروري. وفي الوقت نفسه، أدى إيقاف مقدمي البرامج المرموقين الذين خرجوا عن النص لانتقاد بعض المشاريع الحكومية إلى تسليط الضوء بشكل أكبر على عدم التسامح مع المحتوى الذي يعكس صورة سيئة عن النظام وتفضيل الإنتاج الدعائي.

٣٣ـ التدخل في تنظيم وسائل الإعلام

كما أن تدخل الأجهزة الأمنية في نوفمبر ٢٠٢٤ في ترشيح أعضاء مجلس إدارة جدد للهيئات الثلاث التي شُكلت في عام ٢٠١٨ لمراقبة وتنظيم وسائل الإعلام المطبوعة والمسموعة والمرئية في مصر - المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام، والهيئة الوطنية للصحافة، والهيئة الوطنية للإعلام - كذب مزاعم الرغبة في مزيد من التنوع الفكري والاستقلال.

٣٤ـ السعي إلى الهيمنة الأيديولوجية

مثل الأنظمة الاستبدادية الأخرى، شعرت إدارة السيسي بالحاجة إلى نشر خطاب أيديولوجي يهدف إلى إضفاء الشرعية على حكمها وإثبات كفاءتها. ولكن في حين أن شعار "لا شيء بالمجان" يعبر بقوة عن الروح الاجتماعية لنظام ما بعد عام ٢٠١٣، إلا أنه لا يغني عن العقد الاجتماعي السابق الذي كان أحد أهم الركائز الأيديولوجية لجمهورية ما بعد عام ١٩٥٢. لقد أثبت النظام عجزه عن تطوير أيديولوجية اجتماعية جامعة بسبب الفجوات الاجتماعية والاقتصادية الصارخة وعدم المساواة ورفضه تصور تحالفات طبقية حقيقية. ولجأ بدلاً من ذلك إلى الترويج لإنجازاته الخاصة، وهي مزيج من القومية الدفاعية ونظريات المؤامرة، وعسكرة التعليم والخدمة المدنية. ولكن، إذا كانت تصريحات الرئيس المتكررة التي تنتقد شعبه تشير إلى أي شيء، فهو أن هيمنة النظام الأيديولوجية على الفضاءات العامة من الأعلى قد فشلت في توليد إجماع اجتماعي وسياسي من الأسفل.

٣٥ـ ترويج الإنجازات كوسيلة لإثبات الكفاءة

يُعدّ الترويج المستمر لإنجازات الإدارة سمة فريدة من سمات إدارة السيسي، والتي تسعى من خلالها إلى إثبات كفاءتها. يُسلّط المسؤولون ووسائل الإعلام الضوء بشكل روتيني على افتتاح ما يُزعم أنه أكبر مصنع نسيج، ومزرعة نخيل، ومحطات معالجة مياه البحر والصرف الصحي في العالم؛ أو أكبر مجمع للرخام، ومصنع لحليب الأطفال، ومصنع للبولي إيثيلين، ومحطة مناولة الحاويات، ومجمع لتصنيع الجلود في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وتفخر العاصمة الإدارية الجديدة، التي وصفتها الشركة المُديرة لها بأنها "أكبر مُطوّر عقاري في العالم"، بمبنى الأوكتاجون، أحد أكبر مقرات الدفاع في العالم، وثاني أكبر مسجد في العالم، وثاني أكبر ملعب رياضي في إفريقيا، وأكبر كاتدرائية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وأطول مبنى في إفريقيا، وقصر رئاسي على الطراز الفرعوني يُعدّ بدوره أحد أكبر القصور في العالم. وليس من المُستغرب أن تزعم أيضًا أنها تضم أطول سارية علم في العالم. ويُقال أيضًا إن هذه المشاريع وغيرها من المشاريع الممولة من الدولة شُيّدت وفقًا "لأعلى المعايير الدولية"، مما يُرسّخ مكانة مصر بين الدول.

٣٦ـ اللوم على الشعب المصري في تفاقم الأزمات

إن الجانب الآخر من إشادة إنجازات الإدارة هو خطاب يلقي باللوم على الشعب المصري في تفاقم، إن لم يكن إنتاج، المشاكل المالية الكبرى التي تعاني منها البلاد وظروفها الاجتماعية والاقتصادية السيئة. وقد نسج السيسي، على وجه الخصوص، رواية تلقي باللوم على أولئك الذين دعموا الثورة في عام ٢٠١١ في إلحاق أضرار اقتصادية جسيمة بالبلاد، مما جعلها عرضة للصدمات الخارجية، وفي الاكتظاظ السكاني الذي يعيق معدلات النمو الاقتصادي ويتجاوز موارد الدولة. وقد جادل مرارًا وتكرارًا قائلًا: "أنت تثور، وتنزل إلى الشارع، وتدمر بلدك". "لا تستمروا في تدمير بلدكم بين الحين والآخر." كما حذر السيسي من أن "الظروف لن تتحسن ما لم يكن معدل النمو السكاني متناسبًا مع قدرتنا الاقتصادية وقدرتنا على العمل والموازنة العامة للدولة." وفي حديثه في سبتمبر ٢٠٢٣، في ذروة الأزمة المالية الناجمة عن الإنفاق الحكومي الهائل على مشاريعه الضخمة المفضلة، توصل السيسي إلى استنتاجات قاسية: "إذا كان ثمن تقدم وازدهار أمة هو عدم قدرة الناس على الأكل والشرب، فلن نأكل ونشرب." وبلهجة أكثر تصالحية، وعد أيضًا بأنه على الرغم من وجود أعداء مصر (لم يُسمّهم)، فإن البلاد "ستكون في مكان آخر إذا استمرت معدلات نشاطها ونموها لمدة عشر أو خمس عشرة سنة" في عهد خلفائه.

٣٧ـ استهداف الطبقة المتوسطة في الخطاب الأيديولوجي

يُوجَّه جزء كبير من هذا الخطاب بوضوح إلى فقراء مصر، لكن التدهور الحاد في الوضع الاجتماعي والاقتصادي للطبقة المتوسطة تطلب نسج الادعاء بأن الدولة المصرية تواجه مؤامرة تستهدف وجودها في السرد الأيديولوجي للجمهورية الثانية. في هذه الرواية، تواجه مصر "حرب الجيل الرابع" التي تدور في الأوساط السياسية والاجتماعية والعسكرية. إن حقيقة أن المسؤولين والمنافذ الإعلامية التابعة للنظام الجديد طرحوا هذه الحجة مباشرة بعد انقلاب عام ٢٠١٣ تؤكد أن الهدف كان الحفاظ على قاعدة الطبقة المتوسطة التي تظاهرت بأعداد ضخمة ضد الرئيس محمد مرسي ومهدت الطريق للإطاحة به. منذ ذلك الحين، حوّل ضباط القوات المسلحة والأكاديميون الموالون هذه الرواية إلى علم زائف، يُدرّس أيضًا كجزء من المناهج الدراسية الرسمية لموظفي الخدمة المدنية والشرطة والمدعين العامين وطلاب القوات المسلحة، كما يُروّج لها على نطاق واسع في وسائل الإعلام التي تسيطر عليها الدولة، والمواد التعليمية للأطفال، ومؤتمرات الشباب، والخطب الدينية. ويؤكد السيسي هذه الرسالة بانتظام، مدعيًا مرة أخرى في ديسمبر ٢٠٢٤ أن وكالات استخبارات لم يُسمّها كانت وراء "كمية هائلة من الأكاذيب والشائعات" المتداولة على وسائل التواصل الاجتماعي "لتعبئة العالم بأسره" ضد مصر.

٣٨ـ عسكرة التعليم والخدمة المدنية

ومع ذلك، فإن العمود الفقري الحقيقي للرواية الأيديولوجية للجمهورية الثانية هو عسكرة التعليم والتوظيف والتدريب في الخدمة المدنية. وهذا يُؤدّي فعليًا إلى تأديب أبناء الطبقة المتوسطة الأكثر تضررًا من الانكماش الحاد في قدرتهم الشرائية، ومن المرجح أن يُقلّل من تقدير إنجازات الرئيس. اكتسبت العسكرة زخمًا منذ عام ٢٠١٧، عندما طُلب من الدبلوماسيين المصريين الخضوع لمعسكر تدريبي لمدة ستة أشهر وتلقين أيديولوجي وطني في كلية الحرب. في عام ٢٠٢٠، أصدر السيسي تعديلات قانونية تُعيّن مستشارين عسكريين لمحافظي محافظات البلاد السبع والعشرين، وتشمل مسؤولياتهم الإشراف على تطبيق منهج التعليم العسكري الذي صممته وزارة الدفاع في المدارس الثانوية والجامعات. في أبريل ٢٠٢٣، أصدرت الحكومة مرسومًا يقضي بأن على جميع المتقدمين لوظائف الخدمة المدنية الالتحاق بدورة تأهيلية لمدة ستة أشهر تتضمن تدريبًا بدنيًا ونفسيًا في كلية الحرب التابعة للقوات المسلحة المصرية. تقوم المجالس العسكرية الآن بشكل روتيني بفحص واختبار المجندين الجدد في الخدمة المدنية، ويقال إن لها أيضًا رأيًا حاسمًا في التعيينات والترقيات في الإدارة الحكومية.

٣٩ـ الهيمنة على الفضاء العام عبر العسكرة

يعتبر السيسي أن عسكرة المجتمع جزءًا من استراتيجيته السياسية لإعادة تشكيل الهيكل الإداري للدولة بطريقة تضمن ولاءً مطلقًا له من كافة فئات المجتمع، بما في ذلك الطبقات الوسطى والطبقات العمالية. وقد تزايدت العسكرة في المؤسسات التعليمية والإدارية منذ عام ٢٠١٧، حيث بدأ السيسي في تطبيق سياسة إلزام الدبلوماسيين والمجندين الشباب بالخضوع لبرامج تدريبية عسكرية وأيديولوجية. هذه البرامج لا تهدف فقط إلى بناء نخبة تكنوقراطية موالية، ولكنها تسعى إلى إعادة تشكيل العقليات وتوجيه الأفراد نحو ولاء مطلق للنظام القائم.

٤٠ـ إعادة تشكيل الجهاز الإداري للدولة

لقد أصبح التعيين في المناصب الإدارية الرئيسية في الدولة يعتمد بشكل متزايد على الولاء العسكري والأمني. ومن خلال سياسة عسكرة التعليم والتدريب، تم استيعاب المزيد من الشباب في النظام الإداري للجيش والأجهزة الأمنية، وهو ما يعزز قدرة السيسي على التحكم في مفاصل الدولة. كما تم إدخال المستشارين العسكريين إلى جميع المحافظات، مما يعني أن القرار السياسي والإداري أصبح محصورًا في أيدي الأجهزة العسكرية والأمنية، ما يحد من فرص أي تحرك أو معارضة من قبل السلطة المدنية.

٤١ـ التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية للعسكرة

إن عسكرة المجتمع لها تأثيرات سلبية بالغة على البنية الاجتماعية والاقتصادية. فقد أدت هذه السياسات إلى تقليص فرص الطبقة المتوسطة في تحسين وضعها الاجتماعي والاقتصادي، حيث أصبح القطاع العام موجهًا بشكل رئيسي لتأهيل الموظفين والجنود العسكريين، ما أدى إلى إضعاف قطاع الخدمات العامة بشكل عام. هذا التوجه يهدد بتآكل الطبقة المتوسطة، حيث يتم تجاهل الفئات غير العسكرية وعدم الاهتمام بتطوير موارد القطاع المدني.

٤٢ـ توسيع النفوذ العسكري في الاقتصاد

من جهة أخرى، يعكس التأثير المتزايد للجيش في الاقتصاد المصري تأثيرًا واضحًا على تسيير الأنشطة الاقتصادية، حيث يستحوذ الجيش على العديد من الشركات الكبرى في قطاعات مثل البناء والطاقة والإعلام. هذه السيطرة المفرطة على الاقتصاد أدت إلى تعزيز المصالح العسكرية وتوسيع نفوذها، ما يعزز من التفوق العسكري في كافة جوانب الحياة المصرية، من السياسة إلى الاقتصاد. وقد أدى هذا إلى تقليص فرص القطاع الخاص في المنافسة والنمو، مما يخلق بيئة اقتصادية غير متوازنة.

٤٣ـ الاستمرار في تأمين السلطة عبر ولاء النخبة

رغم ما يبدو من تقلبات اقتصادية واجتماعية، يبقى ضمان ولاء النخبة الإدارية والعسكرية للنظام هو العنصر الأساسي الذي يعول عليه السيسي للحفاظ على استقرار حكمه. وهو ما يظهر بوضوح في التحالفات السياسية المتغيرة، حيث تم تشكيل تحالفات بين الأحزاب السياسية الجديدة التي تسيطر عليها الأجهزة الأمنية، مع محاولة جذب المزيد من القيادات الشبابية إلى الساحة السياسية لضمان الدعم السياسي المطلوب.

٤٤ـ دولة موازية

أ- انتقال أصول الدولة إلى هيئات شبه حكومية

o مع انتقال صلاحيات الرقابة والسيطرة على القضاء إلى السيسي أو إلى الجيش الذي يقوده، حدث تحول كبير في أصول الدولة، حيث انتقلت العديد من الأصول إلى هيئات شبه حكومية.

o هذه الهيئات خاضعة لسيطرة الرئيس المباشرة رغم أنها تسجل ككيانات قانونية تُمارس أنشطتها نيابة عن الدولة المصرية.

ب- نشأة الصناديق شبه الحكومية

o صندوق "تحيا مصر": تم إطلاقه في ٢٠١٤، وكان مُكلفًا بتمويل مشاريع التنمية، ويُدار بواسطة لواءات من القوات المسلحة المصرية.

o صندوق مصر السيادي: أُنشئ في ٢٠١٨ لإدارة أصول الدولة غير المستغلة، ونقل أصول الدولة إليه. لكن أداؤه كان ضعيفًا في جذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة.

ت- السيطرة على الاقتصاد من خلال المؤسسات العسكرية

o هيئات عسكرية مثل الهيئة الهندسية للقوات المسلحة لعبت دورًا رئيسيًا في إدارة مشاريع الإسكان والبنية التحتية.

o السيطرة العسكرية على العاصمة الإدارية الجديدة، حيث تمتلك وزارة الدفاع ٥١٪ من شركة التنمية العمرانية الخاصة بالمشروع.

o جهاز مشروعات الخدمة الوطنية ووكالة مستقبل مصر التي تدير مشاريع ضخمة لاستصلاح الأراضي وزراعة الحبوب في مناطق استراتيجية.

ث- ظهور "اقتصاد هجين"

o التوسع في المؤسسات شبه الحكومية أنشأ اقتصادًا هجينًا يجمع بين القطاعين العام والخاص، حيث تحتفظ بعض الهيئات الحكومية بقدرتها على التحكم في المشاريع الاقتصادية الكبيرة.

o تزايد أهمية الدولة الامتيازية التي تعمل وفقًا للقواعد التي وضعها الرئيس وتفيد مكونات النظام الأساسية.

o يعكس هذا التوازن والتكامل بين النظامين في شكل توازي بين المؤسسات الحكومية التقليدية والدولة شبه الحكومية.

٤٥ـ التقارب بين الجيش ورجال الأعمال

أ- اندماج المصالح بين السيسي والقوات المسلحة

o القوات المسلحة المصرية في قلب السلطة، حيث تمت إعادة تشكيل مصر على صورتها الخاصة. فالسيسي يُمكّن الجيش من السيطرة على المشهد الاقتصادي في مصر، بينما تستفيد القوات المسلحة من استثمارات هائلة في مشاريع ضخمة، مما يعزز نفوذها.

ب- دور الجيش في إدارة المشاريع الاقتصادية

o على الرغم من محاولات السيسي لبيع بعض أسهم الشركات العسكرية لمستثمرين من القطاع الخاص، إلا أن الجيش استطاع الحفاظ على استقلاليته المالية. وهذا الأمر يُعدّ مصلحة استراتيجية في أوقات الأزمات الاقتصادية.

o شراكات الجيش مع شركات خاصة تعزز من النفوذ العسكري في مجالات الاقتصاد والعقارات.

ت- حماية الجيش لاقتصاده الخاص

o الدستور المعدل ٢٠١٩ أكّد على حق القوات المسلحة في التدخل للحفاظ على النظام السياسي. وقد أدى ذلك إلى تكريس سيطرة الجيش على مفاصل الدولة، وبهذا شكل قاعدة للسلطة المشتركة بين السيسي والجيش.

٤٦ـ سعي السيسي للحفاظ على التوازن بين السلطة السياسية والعسكرية

أ- التغييرات في القيادة العسكرية والاستخباراتية

o السيسي يُجري تغييرات مستمرة على القيادات العسكرية والاستخباراتية لتجنب تفاقم الصراعات داخل النخبة.

o تُستخدم الترقيات لضباط القوات المسلحة والمخابرات العامة كوسيلة للحفاظ على ولاء هذه الأجهزة وحمايتها من المنافسة الداخلية.

ب- تأثير العلاقات مع الخارج على النظام الداخلي

o السيسي نجح في تنويع مصادر واردات الأسلحة، مما عزز موقفه داخليًا على مستوى التسلح وقوة الجيش. كما نجح في إدارة القضايا الخارجية مثل أزمة سد النهضة والتهديدات الأمنية في ليبيا والسودان.

o هذا التنوع في السياسة الخارجية يُعد أداة لتوطيد مكانته كزعيم استراتيجي.

٤٧ـ العلاقات مع طبقة رجال الأعمال

أ- التحكم في طبقة رجال الأعمال

o على الرغم من منع السيسي إعادة التأهيل السياسي لرجال الأعمال المقربين من مبارك، إلا أنه أتاح لرجال الأعمال المستقلين دورًا مهمًا في تنفيذ المشاريع الاقتصادية.

o يمكن للأعمال التجارية الحصول على عقود فرعية في المشاريع الضخمة، ولكنها تبقى تحت رقابة مشددة، وتخضع لإملاءات النظام.

ب- الشركات العسكرية

o مع تقدم السلطة العسكرية في الاقتصاد، تعمل القوات المسلحة المصرية على تحسين مصالحها الاقتصادية من خلال الاستحواذ على مشاريع مختلفة تتعلق بالعقارات والمرافق العامة.

o على الرغم من التنافس بين الجيش وقطاع الأعمال الخاص، يتزايد تأثير القوات المسلحة في الاقتصاد الوطني، وهو ما يعكس تحولًا في "اقتصاد السوق".

ت- الأنماط المتغيرة لعلاقة رجال الأعمال مع النظام

o مجموعة من رجال الأعمال المرتبطين بنظام مبارك، مثل أحمد عز، ومحمد أبو العينين، عادت للنشاط التجاري، لكن لا يتمتعون بنفوذ سياسي كبير بعد أن تم استبعادهم من القرار السياسي.

o في المقابل، يتم تعزيز دور بعض رجال الأعمال الجدد، الذين استفادوا من الشبكات الأمنية، ويستمرون في الحصول على فرص استثمارية على نطاق واسع.

خلاصة البحث، وموضوع الديون المصرية للصين

يُعد العقد الاجتماعي الجديد في عهد السيسي تحوّلًا جذريًا في كيفية إدارة الدولة لعلاقتها بالمواطنين، حيث يُركّز على تقليص الدعم الاجتماعي، والتحول إلى سياسات تقشفية تستهدف تعزيز الاستدامة المالية. يترافق ذلك مع سيطرة أكبر من قبل الأجهزة العسكرية والأمنية على الدولة، ما يعزز سلطوية النظام ويقلص دور المؤسسات المدنية.

من ناحية أخرى، يتزايد التفاوت الاجتماعي والاقتصادي بشكل ملحوظ، مما يؤدي إلى تآكل الطبقة المتوسطة وزيادة الفقر، بالإضافة إلى ضعف فرص التنقل الاجتماعي.

السياسات الاقتصادية، بما في ذلك خفض الدعم وزيادة الضرائب، تضر بالشرائح الضعيفة في المجتمع، بينما يستفيد النظام من المشاريع الضخمة التي يمولها من خلال المساعدات الخارجية والقروض. كما أن فرض القمع السياسي والإعلامي، وتوسيع دور الجيش في الاقتصاد والتعليم، يعكس اتجاهًا نحو عسكرة الحياة العامة وزيادة التركيز السياسي في يد السيسي.

مستقبل العقد الاجتماعي الذي يسعى السيسي لتطبيقه يواجه تحديات كبيرة، خاصة في ظل القمع السياسي، زيادة الفقر، وتزايد التفاوت الطبقي. في المدى البعيد، قد تؤدي هذه السياسات إلى تهديد استقرار النظام، حيث يظل السيسي معتمدًا على الأجهزة العسكرية لإدامة سلطته، مع احتمال زيادة الضغوط الاجتماعية من خلال الاحتجاجات أو التغيير السياسي غير المتوقع.

مع تعليق لجيفري ساكس

تموز ٢٠٢٥

النص الكامل لمؤتمر بريكس في البرازيل لسنة ٢٠٢٥

ادناه النص الكامل لمؤتمر «بريكس» في ريو دي جانيرو في الإسبوع الأول من شهر حزيران. يليه تعليق واستنتاجات من الاقتصادي والمستشار السابق للأمم المتحدة جيفري ساكس:

إصلاح البنك الدولي والمراجعة المستقبلية لحصصه لعام ٢٠٢٥

نُعيد التأكيد على أن مراجعة حصص ملكية البنك الدولي لعام ٢٠٢٥، التي تترأسها البرازيل بالمشاركة، تُعد أداة حاسمة لتعزيز التعددية وتحسين شرعية مجموعة البنك الدولي، باعتبارها مؤسسة تمويل تنموي أكثر فعالية وأكبر حجمًا وأفضل أداءً.

وانطلاقًا من مبادئ ليما، نواصل الدعوة إلى زيادة صوت وتمثيل الدول النامية، مدعومًا بإعادة مواءمة الحصص التصويتية، لتصحيح التمثيل الناقص تاريخيًا.

وسنسعى لضمان أن مكافحة الفقر وعدم المساواة، بما في ذلك عبر خلق فرص العمل، تظل في صميم مهمة مجموعة البنك الدولي، في ظل التحديات التي تفرضها تغيرات المناخ والتحول الرقمي.

النظام التجاري المتعدد الأطراف ومنظمة التجارة العالمية (WTO)

إن النظام التجاري المتعدد الأطراف يقف منذ فترة طويلة عند مفترق طرق. إذ أن تفشي التدابير المقيدة للتجارة، سواء من خلال فرض رسوم جمركية أو حواجز غير جمركية بشكل غير تمييزي، أو الحمائية تحت غطاء الأهداف البيئية، يُهدد بمزيد من الانكماش في التجارة العالمية، وتعطيل سلاسل التوريد، وزيادة عدم اليقين في الأنشطة الاقتصادية والتجارية الدولية، مما قد يُفاقم الفوارق الاقتصادية القائمة ويؤثر على آفاق التنمية الاقتصادية العالمية.

نُعرب عن قلقنا البالغ إزاء تصاعد الإجراءات التعريفية وغير التعريفية الأحادية التي تشوه التجارة وتتنافى مع قواعد منظمة التجارة العالمية.

وفي هذا السياق، نُعيد تأكيد دعمنا لنظام تجاري متعدد الأطراف قائم على القواعد، منفتح، شفاف، عادل، شامل، متوازن وغير تمييزي، مبني على التوافق، مع منظمة التجارة العالمية في مركزه، وضمان المعاملة الخاصة والتفضيلية لأعضائها من الدول النامية.

نُشدد على أن منظمة التجارة العالمية، وهي تحتفل بالذكرى الثلاثين لتأسيسها، تبقى المؤسسة المتعددة الأطراف الوحيدة المخولة بقيادة النقاشات حول التجارة الدولية بكل أبعادها، بما يشمل التفاوض حول قواعد تجارية جديدة.

نُذكّر بالالتزامات التي تم اتخاذها في المؤتمر الوزاري الثاني عشر للمنظمة، والتي أعيد تأكيدها في المؤتمر الوزاري الثالث عشر، للعمل نحو إصلاح ضروري للمنظمة لضمان ملاءمتها واستعادة مصداقية النظام التجاري المتعدد الأطراف.

نُجدد التزامنا بإعادة تفعيل نظام تسوية المنازعات في منظمة التجارة العالمية ليكون فاعلًا، ميسور الوصول، متعدد المراحل، وملزمًا، ونُعرب عن دعمنا القوي لانضمام إثيوبيا وإيران إلى منظمة التجارة العالمية.

ونُرحب بإعلان البريكس حول إصلاح منظمة التجارة العالمية وتعزيز النظام التجاري المتعدد الأطراف، الذي تم اعتماده من قِبل وزراء التجارة في دول البريكس.

العقوبات الأحادية والتدابير القسرية

نُدين فرض التدابير القسرية الأحادية التي تتعارض مع القانون الدولي، ونُعيد التأكيد على أن هذه التدابير، بما في ذلك العقوبات الاقتصادية الأحادية والعقوبات الثانوية، لها تأثيرات سلبية بعيدة المدى على حقوق الإنسان، بما في ذلك الحق في التنمية، والصحة، والأمن الغذائي، وغالبًا ما تؤثر بشكل غير متناسب على الفقراء والفئات الضعيفة، كما تُعمق الفجوة الرقمية وتُفاقم التحديات البيئية.

ندعو إلى إلغاء هذه الإجراءات غير القانونية، والتي تُقوض القانون الدولي ومبادئ وأهداف ميثاق الأمم المتحدة.

نُعيد التأكيد على أن دول البريكس لا تفرض ولا تدعم العقوبات التي لم يوافق عليها مجلس الأمن الدولي، والتي تتعارض مع القانون الدولي.

الصحة العالمية والتعاون في الأوبئة

نُدرك الطبيعة المترابطة للتحديات الصحية العالمية وآثارها العابرة للحدود، ونُعيد تأكيد التزامنا بتعزيز حوكمة الصحة العالمية من خلال التعاون الدولي والتضامن.

نُبرز دور منظمة الصحة العالمية بصفتها السلطة التوجيهية والمنسقة للعمل الصحي الدولي داخل منظومة الأمم المتحدة، خاصة في أوقات الأزمات والطوارئ.

نُؤكد على ضرورة تعزيز ولاية المنظمة، وقدراتها، وآليات تمويلها. فوجود منظمة صحة عالمية قوية وممولة بشكل كافٍ أمرٌ ضروري للتصدي بفعالية للتحديات الصحية الحالية والمستقبلية، وتقليل التفاوتات، وضمان الوصول العادل إلى خدمات الرعاية الصحية، بما في ذلك الأدوية واللقاحات، لا سيما في الدول النامية.

نُعلن دعمنا للجهود المبذولة لتعزيز بنية الصحة العالمية، وتعزيز المساواة، والشمول، والشفافية، والاستجابة السريعة، لضمان ألا يُترك أي بلد خلف الركب في تحقيق أهداف التنمية المستدامة المتعلقة بالصحة.

نُقر بتبني اتفاقية منظمة الصحة العالمية بشأن الجوائح من قِبل الدورة الثامنة والسبعين لجمعية الصحة العالمية، ونعتبرها أساسًا لعالم أكثر أمانًا وعدالة في مواجهة الجوائح المستقبلية.

نُعلن استعدادنا للمضي قدمًا بزخم قوي نحو استكمال المفاوضات التي يقودها الأعضاء حول الملحق المتعلق بالوصول إلى مسببات الأمراض وتقاسم المنافع.

الذكاء الاصطناعي (AI) وحوكمته العالمية

نُقر بأن الذكاء الاصطناعي يُمثّل فرصة محورية لتعزيز التنمية نحو مستقبل أكثر ازدهارًا. ولتحقيق هذا الهدف، نُؤكد أن حوكمة الذكاء الاصطناعي على المستوى العالمي يجب أن تعمل على التقليل من المخاطر المحتملة، ومعالجة احتياجات جميع الدول، بما في ذلك بلدان الجنوب العالمي.

ونؤمن بضرورة بذل جهد جماعي عالمي من أجل وضع حوكمة للذكاء الاصطناعي تقوم على القيم المشتركة، وتُعالج المخاطر، وتبني الثقة، وتضمن التعاون الدولي الواسع والشامل وإمكانية الوصول، بما يتماشى مع القوانين السيادية، بما في ذلك بناء القدرات للدول النامية، على أن يكون الأمم المتحدة في مركز هذه العملية.

ومن أجل دعم نقاش بنّاء نحو نهج أكثر توازنًا، فقد اتفقنا على «بيان قادة البريكس حول الحوكمة العالمية للذكاء الاصطناعي»، والذي يهدف إلى تشجيع التطوير والاستخدام المسؤول لتقنيات الذكاء الاصطناعي لأغراض التنمية المستدامة والنمو الشامل، وذلك وفق الأطر التنظيمية الوطنية، وميثاق الأمم المتحدة، واحترامًا لسيادة الدول.

تعزيز السلام والأمن والاستقرار الدولي

نُعرب عن قلقنا العميق بشأن الصراعات المستمرة في العديد من مناطق العالم، والحالة الحالية من الاستقطاب والتجزئة في النظام الدولي.

كما نعبر عن القلق البالغ إزاء الاتجاه العالمي المتزايد نحو الارتفاع الحاد في الإنفاق العسكري، على حساب توفير التمويل الكافي للتنمية في الدول النامية.

ندعو إلى نهج متعدد الأطراف يحترم تنوع وجهات النظر الوطنية حول القضايا العالمية الرئيسية، بما في ذلك التنمية المستدامة، والقضاء على الجوع والفقر، والمساهمة في الاستجابة العالمية لتغير المناخ.

كما نُعرب عن قلقنا العميق بشأن محاولات الربط بين الأمن وأجندة تغير المناخ.

نلاحظ السياق العالمي الحالي من الاستقطاب وانعدام الثقة، وندعو إلى عمل عالمي لتعزيز السلام والأمن الدوليين.

ندعو المجتمع الدولي إلى الاستجابة لتلك التحديات والتهديدات الأمنية المرتبطة بها عبر تدابير سياسية ودبلوماسية تُقلّل من احتمالية نشوب الصراعات، ونؤكد الحاجة إلى الانخراط في جهود الوقاية من النزاعات، بما في ذلك من خلال معالجة الأسباب الجذرية لها.

نُبرز أن أمن جميع الدول لا يتجزأ، ونجدد التزامنا بحل النزاعات الدولية بالوسائل السلمية، من خلال الحوار، والتشاور، والدبلوماسية.

نشجع الدور الفعّال للمنظمات الإقليمية في منع النزاعات وحلها، وندعم جميع الجهود التي تُفضي إلى تسوية سلمية للأزمات.

نُبرز أهمية الوساطة والدبلوماسية الوقائية كأدوات أساسية لتجنب الأزمات ومنع تصعيدها، وفقًا لأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة.

وفي هذا السياق، نتفق على استكشاف سُبل التعاون في مجالات منع النزاعات المسلحة، ومهام حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، وعمليات دعم السلام التابعة للاتحاد الإفريقي، وعملية الوساطة، والسلام.

الأزمات الإنسانية وانتهاكات القانون الدولي الإنساني

نجدد التزامنا القوي بتعزيز التعاون متعدد الأطراف لمواجهة الأزمات الإنسانية في جميع أنحاء العالم، ونعرب عن القلق إزاء التراجع في حجم الاستجابة الدولية، والتي كانت أصلاً غير كافية ومجزأة وغالبًا ما تتسم بالتسييس.

ندين بشدة جميع انتهاكات القانون الدولي الإنساني، بما في ذلك الهجمات المتعمدة على المدنيين والبنية التحتية المدنية، ومنع أو عرقلة وصول المساعدات الإنسانية، واستهداف العاملين في المجال الإنساني.

نُؤكد على ضرورة محاسبة المسؤولين عن جميع انتهاكات القانون الدولي الإنساني. فمثل هذه الانتهاكات لا تُفاقم المعاناة الفورية فحسب، بل تُقوّض أيضًا آفاق السلام الدائم من خلال تدمير الأسس المادية والاجتماعية الضرورية لإعادة الإعمار بعد النزاع.

نُشيد بالجهود الدولية التي تقوم بها دول البريكس لتعزيز احترام القانون الدولي الإنساني والالتزام به وتنفيذه الفعّال.

المرأة والسلام والأمن

نُعيد التأكيد على التزامنا الكامل بتنفيذ أجندة المرأة والسلام والأمن (WPS)، وخاصة في ضوء الذكرى الخامسة والعشرين لقرار مجلس الأمن ١٣٢٥ (٢٠٠٠).

كما نُؤكد على أهمية ضمان المشاركة الكاملة والمتساوية والآمنة والفعالة للنساء في عمليات السلام والأمن على جميع المستويات، بما في ذلك منع النزاعات، وتسويتها، والإغاثة الإنسانية، والوساطة، وعمليات حفظ السلام، وبناء السلام، وإعادة الإعمار والتنمية بعد النزاعات.

الهجمات على إيران – يونيو ٢٠٢٥

ندين الغارات العسكرية ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية منذ ١٣ يونيو ٢٠٢٥، والتي تُشكّل انتهاكًا للقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة.

كما نعرب عن قلقنا الشديد إزاء التصعيد اللاحق للوضع الأمني في الشرق الأوسط.

ونُبدي قلقًا بالغًا تجاه الهجمات المتعمدة على البنية التحتية المدنية والمرافق النووية السلمية الخاضعة للضمانات الكاملة من الوكالة الدولية للطاقة الذرية، في انتهاك للقانون الدولي وقرارات الوكالة ذات الصلة.

يجب الحفاظ على ضمانات السلامة والأمن النووي في جميع الأوقات، بما في ذلك في حالات النزاع المسلح، لحماية الناس والبيئة من الأذى.

وفي هذا السياق، نجدد دعمنا للمبادرات الدبلوماسية الهادفة إلى معالجة التحديات الإقليمية.

وندعو مجلس الأمن الدولي إلى أن يتناول هذه المسألة بشكل عاجل.

الصراع في أوكرانيا

نُشير إلى مواقفنا الوطنية بشأن النزاع في أوكرانيا، كما تم التعبير عنها في المنتديات المناسبة، بما في ذلك مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة والجمعية العامة للأمم المتحدة.

ونُقدّر المقترحات ذات الصلة بالوساطة والمساعي الحميدة، بما في ذلك مبادرة السلام الإفريقية ومجموعة أصدقاء السلام، التي تهدف إلى تسوية سلمية للنزاع عبر الحوار والدبلوماسية.

ونتوقع أن تؤدي الجهود الجارية إلى تسوية سلمية ومستدامة.

الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (MENA) – الصراعات القائمة

نعرب عن قلقنا العميق إزاء الصراعات المستمرة وعدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

وفي هذا الصدد، نؤيد البيان المشترك الصادر عن نواب وزراء خارجية البريكس والمبعوثين الخاصين في اجتماعهم المنعقد في ٢٨ مارس ٢٠٢٥.

الوضع في الأراضي الفلسطينية المحتلة – غزة

نُعيد تأكيد قلقنا البالغ بشأن الوضع في الأراضي الفلسطينية المحتلة، في ظل استمرار الهجمات الإسرائيلية المتواصلة ضد غزة، وعرقلة دخول المساعدات الإنسانية إلى القطاع.

ندعو إلى الامتثال للقانون الدولي، وخاصة القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان، وندين جميع انتهاكات القانون الدولي الإنساني، بما في ذلك استخدام التجويع كسلاح حرب.

كما ندين محاولات تسييس أو عسكرة المساعدات الإنسانية.

ندعو جميع الأطراف إلى الانخراط بحسن نية في مفاوضات تفضي إلى:

- وقف فوري ودائم وغير مشروط لإطلاق النار،
- انسحاب كامل للقوات الإسرائيلية من قطاع غزة وجميع المناطق الأخرى من الأراضي الفلسطينية المحتلة،
- الإفراج عن جميع الرهائن والمعتقلين المحتجزين بشكل مخالف للقانون الدولي،
- الوصول المستمر وغير المعرقل للمساعدات الإنسانية.

نُعيد تأكيد دعمنا الثابت لـ الأونروا (وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين)، ونُشدد على ضرورة الاحترام الكامل للولاية الممنوحة لها من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة لتوفير الخدمات الأساسية للاجئين الفلسطينيين في مناطق عملياتها الخمس.

ندعو جميع الأطراف المعنية إلى الامتثال بالتزاماتها بموجب القانون الدولي، والتصرف بأقصى درجات ضبط النفس وتجنب الأفعال والتصريحات التصعيدية.

نشير في هذا السياق إلى التدابير المؤقتة لمحكمة العدل الدولية في القضية المرفوعة من جنوب إفريقيا ضد إسرائيل، والتي أعادت التأكيد على الالتزام القانوني لإسرائيل بضمان توفير المساعدات الإنسانية في غزة.

الدولة الفلسطينية والاستقلال

نُعيد التأكيد على أن قطاع غزة هو جزء لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وفي هذا الإطار، نُبرز أهمية توحيد الضفة الغربية وقطاع غزة تحت سلطة السلطة الفلسطينية.

كما نُعيد التأكيد على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، بما في ذلك الحق في دولته المستقلة.

ندعو المجتمع الدولي إلى دعم السلطة الفلسطينية في تنفيذ الإصلاحات لتحقيق تطلعات الفلسطينيين المشروعة في الاستقلال وإقامة الدولة، وأيضًا من أجل إعادة إعمار البنية التحتية المدنية للقطاع، بقيادة الفلسطينيين أنفسهم، كما تم الاتفاق عليه في القمة العربية الطارئة حول فلسطين المنعقدة في ٤ مارس ٢٠٢٥.

ونُثمن المبادرة لعقد مؤتمر تعهدات في القاهرة.

نُؤكد أن جهود إعادة إعمار غزة يجب أن تتزامن مع حل سياسي عادل ودائم للصراع.

ونُعرب عن رفضنا القاطع للتهجير القسري، المؤقت أو الدائم، لأي من سكان فلسطين من أراضيهم المحتلة، تحت أي ذريعة، ونرفض أي تغييرات جغرافية أو ديمغرافية في قطاع غزة.

نُعيد التأكيد على أن القانون الدولي والهيئات القضائية الدولية تُطالب بإنهاء الاحتلال غير القانوني، والتوقف الفوري عن جميع الممارسات التي تُقوض القانون وتُعيق السلام العادل والدائم.

حل الدولتين والاعتراف بفلسطين

نُؤكد أن الحل العادل والدائم للنزاع الإسرائيلي-الفلسطيني لا يمكن أن يتم إلا بالوسائل السلمية، ويعتمد على تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، بما في ذلك حقه في تقرير المصير والعودة.

نُجدد دعمنا لعضوية دولة فلسطين الكاملة في الأمم المتحدة، في سياق الالتزام الثابت بحل الدولتين، بما يتماشى مع القانون الدولي، بما في ذلك قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة ذات الصلة، ومبادرة السلام العربية.

نُؤكد أن الحل يشمل إقامة دولة فلسطين المستقلة وذات السيادة والقابلة للحياة، ضمن حدود عام ١٩٦٧، والتي تشمل قطاع غزة والضفة الغربية، بما في ذلك القدس الشرقية كعاصمة لها، من أجل تحقيق رؤية دولتين تعيشان جنبًا إلى جنب في سلام وأمن.

نُؤكد على ضرورة تمثيل فلسطين بشكل مناسب في جميع المنظمات الدولية ذات الصلة، بما في ذلك المؤسسات المالية المتعددة الأطراف، وتمكينها من الوصول إلى موارد هذه المؤسسات.

نُرحب بالجهود المستمرة التي تبذلها دول البريكس لتحقيق وقف إطلاق نار عاجل، وتسريع إيصال المساعدات الإنسانية، وتحقيق سلام دائم ومستدام في المنطقة.

لبنان

نُرحب باتفاق وقف إطلاق النار في لبنان، وندعو جميع الأطراف إلى الالتزام الصارم ببنوده، وتنفيذ قرار مجلس الأمن ١٧٠١ بالكامل.

ندين الانتهاكات المستمرة لوقف إطلاق النار ولسيادة لبنان ووحدة أراضيه.

ندعو إسرائيل إلى الامتثال للشروط المتفق عليها مع الحكومة اللبنانية، والانسحاب من جميع الأراضي اللبنانية، بما في ذلك المواقع الخمسة في جنوب لبنان التي لا تزال محتلة.

سوريا

نُعيد التأكيد على التزامنا بسيادة سوريا واستقلالها ووحدتها وسلامة أراضيها، وندعو إلى عملية سياسية سورية شاملة يقودها ويملكها السوريون، تحت رعاية الأمم المتحدة، استنادًا إلى مبادئ قرار مجلس الأمن ٢٢٥٤ (٢٠١٥)، وبما يضمن أمن ورفاهية السكان المدنيين دون تمييز.

ندين العنف المرتكب في مختلف المحافظات السورية، واستمرار أنشطة التنظيمات الإرهابية مثل داعش (ISIL) وتنظيم القاعدة وفروعها في سوريا، بما في ذلك التفجير الأخير في كنيسة مار إلياس وريف دمشق.

ونُعرب عن تعازينا ومواساتنا الصادقة لأسر ضحايا هذه الهجمات الإرهابية.

ندين أيضًا الخطر الذي يُمثله وجود المقاتلين الإرهابيين الأجانب على الأراضي السورية، وكذلك خطر انتشار الإرهاب من سوريا إلى الدول المجاورة.

ويجب على سوريا مقاومة جميع أشكال الإرهاب والتطرف بحزم، واتخاذ إجراءات ملموسة للرد على القلق الدولي المتزايد بشأن الإرهاب.

إفريقيا – دعم الحلول الإفريقية والسلام والاستقرار

نُكرر أن مبدأ «الحلول الإفريقية للمشكلات الإفريقية» يجب أن يظل الأساس لمعالجة النزاعات في القارة الإفريقية.

نعترف بالدور الحاسم الذي يؤديه الاتحاد الإفريقي في منع النزاعات، إدارتها وتسويتها، ونعيد تأكيد دعمنا للجهود السلمية الإفريقية داخل القارة، بما في ذلك تلك التي يقودها الاتحاد الإفريقي والمنظمات الإقليمية الإفريقية الفرعية.

وفي هذا السياق، نلتزم بدراسة سبل جديدة لدعم عمليات دعم السلام التابعة للاتحاد الإفريقي، وجهود الوساطة، وعمليات السلام، ومبادرات بناء السلام الأوسع نطاقًا في القارة الإفريقية.

نُشيد بالجهود والإنجازات التي حققتها الدول الإفريقية ومنظماتها في سعيها لتحقيق السلام الدائم والتنمية المستدامة، مع الإعراب عن القلق الشديد إزاء الأزمات الإنسانية الخطيرة الناتجة عن النزاعات المسلحة الجديدة والمزمنة في بعض مناطق إفريقيا، وخاصة الآثار المدمرة للصراعات في السودان، ومنطقة البحيرات الكبرى، والقرن الإفريقي.

نُعيد تأكيد دعمنا للجهود الهادفة إلى إيجاد حلول سياسية لهذه الأزمات، ونُجدد الدعوة إلى وقف الأعمال العدائية، ونُؤكد على ضرورة تسوية النزاعات سلميًا.

السودان

نعرب عن قلقنا العميق إزاء الوضع في السودان، والذي أدى إلى أزمة إنسانية متفاقمة، وتزايد خطر انتشار التطرف والإرهاب.

نُجدد مواقفنا بهذا الشأن، وندعو إلى وقف فوري، دائم وغير مشروط لإطلاق النار، وإلى حل سلمي للنزاع.

نُؤكد كذلك على ضرورة وصول المساعدات الإنسانية للسكان السودانيين بشكل عاجل، ودون عوائق، وباستمرار، وعلى ضرورة زيادة المساعدات الإنسانية للسودان والدول المجاورة.

هايتي

نُعرب عن قلقنا الشديد إزاء استمرار تدهور الوضع الأمني والإنساني والاقتصادي في هايتي.

نُعيد التأكيد على أن الأمن والتنمية مترابطان. وأن الأزمة الحالية تتطلب حلًا تقوده هايتي، يشمل حوارًا وطنيًا، وبناء توافق بين القوى السياسية المحلية والمؤسسات والمجتمع.

وندعو المجتمع الدولي إلى دعم جهود هايتي لتفكيك العصابات، وتحسين الوضع الأمني، ووضع الأسس اللازمة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية طويلة الأجل.

ندعم دور الأمم المتحدة، ونُبرز الحاجة إلى تعزيز التعاون الدولي لمواجهة الأزمات المتعددة الأوجه التي تعاني منها هايتي بشكل فعال.

مكافحة الإرهاب والتطرف

نُدين بأشد العبارات جميع الأعمال الإرهابية، باعتبارها جرائم لا يمكن تبريرها، بغض النظر عن دوافعها، وفي أي مكان وزمان ومن قِبل أي جهة كانت.

ندين بأشد العبارات الهجوم الإرهابي في جامو وكشمير في ٢٢ أبريل ٢٠٢٥، والذي أسفر عن مقتل ٢٦ شخصًا وإصابة العديد بجروح.

نُعيد تأكيد التزامنا بمكافحة الإرهاب بجميع أشكاله وتجلياته، بما في ذلك تحركات الإرهابيين عبر الحدود، وتمويل الإرهاب، ووجود ملاذات آمنة للإرهابيين.

نُكرر أن الإرهاب لا ينبغي ربطه بأي دين أو جنسية أو حضارة أو مجموعة عرقية، وأن جميع الضالعين في الأنشطة الإرهابية وداعميهم يجب أن يُحاسبوا ويُقدَّموا للعدالة، وفقًا للقانون الوطني والدولي ذي الصلة.

ندعو إلى اعتماد سياسة «صفر تسامح» تجاه الإرهاب، ونرفض المعايير المزدوجة في مكافحة الإرهاب.

نُؤكد على المسؤولية الأساسية للدول في مكافحة الإرهاب، وأن الجهود العالمية لمواجهة التهديدات الإرهابية يجب أن تكون ملتزمة تمامًا بالقانون الدولي، بما في ذلك ميثاق الأمم المتحدة، وخاصة أهدافه ومبادئه، وكذلك الاتفاقيات والبروتوكولات الدولية ذات الصلة، وبخاصة القانون الدولي لحقوق الإنسان، والقانون الدولي للاجئين، والقانون الدولي الإنساني، حيثما ينطبق.

نُرحب بأنشطة مجموعة عمل مكافحة الإرهاب التابعة للبريكس (CTWG) وأفرعها الخمسة، القائمة على استراتيجية مكافحة الإرهاب للبريكس، وخطة العمل لمكافحة الإرهاب، ووثيقة موقف مجموعة العمل.

نتطلع إلى تعميق التعاون في مجال مكافحة الإرهاب، وندعو إلى الإسراع في اعتماد «الاتفاقية الشاملة بشأن الإرهاب الدولي» ضمن إطار الأمم المتحدة.

وندعو إلى اتخاذ إجراءات منسقة ضد جميع الإرهابيين والكيانات المصنفة من قِبل الأمم المتحدة.

الهجمات على البنية التحتية المدنية في روسيا

ندين بأشد العبارات الهجمات على الجسور والبنى التحتية للسكك الحديدية التي استهدفت المدنيين في مناطق بريانسك، كورسك، وفورونيج في روسيا الاتحادية، في ٣١ مايو، و١ و٥ يونيو ٢٠٢٥، والتي أسفرت عن سقوط ضحايا مدنيين، بينهم أطفال.:

مكافحة التدفقات المالية غير المشروعة والجرائم المنظمة

نُعيد التأكيد على التزامنا بمنع ومكافحة التدفقات المالية غير المشروعة، بما في ذلك غسل الأموال، وتمويل الإرهاب والتطرف وانتشار الأسلحة، إضافة إلى أشكال الجريمة المنظمة العابرة للحدود مثل:

- الاتجار بالمخدرات،
- الجرائم الإلكترونية،
- الجرائم البيئية،
- الاتجار غير المشروع بالأسلحة النارية،
- الاتجار بالبشر،
- الفساد،
- واستخدام التكنولوجيات الجديدة، بما في ذلك العملات المشفّرة، لأغراض غير قانونية، وخاصة الإرهابية.

في هذا السياق، نُبرز أهمية تعزيز بناء القدرات والمساعدة التقنية، خصوصًا للدول النامية، لدعم تنفيذ الالتزامات الدولية ذات الصلة.

نُؤكد التزامنا بمبادئ الحيادية التقنية والطابع غير المُسيس للتعاون الدولي في مكافحة الجريمة، بما في ذلك أغراض الوقاية والتحقيقات المالية.

نشير إلى الحاجة إلى تعزيز هذا التعاون من خلال مجموعات العمل التابعة للبريكس، واجتماعات الجهات المعنية، وغيرها من أشكال التعاون على أساس الوثائق المعتمدة داخل البريكس والاتفاقيات الدولية ذات الصلة التي تُعد الدول الأعضاء أطرافًا فيها.

نُشدد على أهمية خلق بيئة آمنة لتنشئة الجيل الجديد، وتقليل خطر انجذابه للأنشطة غير القانونية، ونرحب بتطوير مشاريع دولية بمشاركة الشباب في هذا المجال.

مكافحة الفساد واسترداد الأصول

نحن مصممون على تعزيز التعاون داخل البريكس في مجال منع ومكافحة الفساد، تماشيًا مع الاتفاقيات الدولية ذات الصلة، لا سيما اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد.

نُعزز تنسيقنا بشأن القضايا الكبرى على الأجندة الدولية لمكافحة الفساد، ونولي أهمية لاحترام التزامات البريكس في هذا المجال، وتعزيز التعاون في:

- استرداد الأصول وعائدات الفساد،
- حرمان الفاسدين من الملاذات الآمنة،
- تعزيز بناء القدرات،
- مشاركة المعرفة والخبرات العملية بين الدول الأعضاء.

نُرحب بعمل مجموعة عمل مكافحة الفساد في البريكس من أجل تطوير رؤية مشتركة وخطة عمل مشتركة لتعزيز التعاون في استرداد الأصول، ومكافحة الفساد.

مخاطر الانتشار النووي ونزع السلاح

نعرب عن قلقنا المتزايد إزاء مخاطر الأسلحة النووية واندلاع النزاعات النووية.

نجدد التأكيد على الحاجة إلى تنشيط نظام نزع السلاح، والرقابة على الأسلحة، ومنع الانتشار، والحفاظ على سلامته وفعاليته من أجل تحقيق الاستقرار العالمي والسلام والأمن الدوليين.

نُشدد على المساهمة الهامة للمناطق الخالية من الأسلحة النووية في دعم نظام منع الانتشار النووي، ونجدد دعمنا واحترامنا لجميع المناطق الخالية من الأسلحة النووية القائمة.

نُعترف بالأهمية القصوى للجهود الرامية إلى تسريع تنفيذ القرارات المتعلقة بإنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط، بما في ذلك المؤتمر المنعقد استنادًا إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٥٤٦/٧٣.

ندعو جميع الأطراف المدعوة إلى المشاركة بنية حسنة في هذا المؤتمر والانخراط بفعالية في هذا المسار.

نُرحب باعتماد الجمعية العامة للأمم المتحدة للقرار ٢٤١/٧٩ بعنوان: «دراسة شاملة لمسألة المناطق الخالية من الأسلحة النووية بجميع جوانبها».

الفضاء الخارجي ومنع عسكرة الفضاء

نُقر بالحاجة إلى ضمان الاستخدام السلمي للفضاء الخارجي، وكذلك استثمار إنجازات العلوم والتكنولوجيا الفضائية لصالح البشرية.

نُعيد التأكيد على دعمنا لضمان الاستدامة الطويلة الأمد للأنشطة الفضائية، ومنع السباق على التسلح في الفضاء الخارجي (PAROS)، ومنع تسليح الفضاء الخارجي، أو التهديد باستخدام القوة ضد الأجسام الفضائية.

ندعو إلى التفاوض بشأن اتفاق قانوني متعدد الأطراف لتحقيق هذا الهدف.

نعترف بتقديم المشروع المُحدّث لمعاهدة منع وضع الأسلحة في الفضاء الخارجي، والتهديد أو استخدام القوة ضد الأجسام الفضائية (PPWT)، إلى مؤتمر نزع السلاح عام ٢٠١٤ باعتباره خطوة مهمة نحو هذا الهدف.

نُشدد على أن الالتزامات غير الملزمة مثل تدابير الشفافية وبناء الثقة (TCBMs)، والمعايير والقواعد والمبادئ المتفق عليها عالميًا، يمكن أن تُساهم أيضًا في تحقيق هذا الغرض.

أمن المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات (ICTs)

مع تأكيدنا على إمكانات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في سد الفجوة الرقمية داخل البلدان وفيما بينها، نعترف بالتحديات والتهديدات التي تنشأ من وداخل الفضاء الرقمي.

نُعيد تأكيد التزامنا ببيئة رقمية مفتوحة وآمنة ومستقرة ومتاحة وسلمية وقابلة للتشغيل البيني.

نُبرز الدور القيادي للأمم المتحدة في تعزيز الحوار البنّاء لصياغة تفاهمات مشتركة حول أمن الفضاء السيبراني، والمضي قدمًا نحو تطوير إطار قانوني عالمي، وتطبيق المعايير والقواعد والسلوك المسؤول للدول في هذا المجال.

ندعو إلى اتباع نهج شامل ومتوازن وموضوعي لتطوير المنتجات والأنظمة الرقمية الآمنة، وكذلك وضع قواعد ومعايير عالمية قابلة للتشغيل البيني لسلاسل التوريد الرقمية الآمنة.

نُرحب بالعمل الجاري للجنة الأمم المتحدة المفتوحة العضوية بشأن أمن واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ٢٠٢١–٢٠٢٥، ونُشدد على ضرورة نجاح ختام عملها في يوليو الجاري.

اتفاقية الأمم المتحدة بشأن الجرائم السيبرانية (Cybercrime)

نُقر بالحاجة المتزايدة إلى التعاون الدولي في مكافحة الجرائم السيبرانية، ونُجدد دعمنا للجنة الأمم المتحدة الحكومية الدولية المعنية بوضع اتفاقية شاملة بشأن مكافحة استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لأغراض إجرامية.

نعيد التأكيد على أن هذه الاتفاقية يجب أن تكون شاملة ومتوازنة وفعالة ومرنة وموجهة نحو العمل، مع الأخذ بعين الاعتبار اختلافات القدرات الوطنية، مع احترام سيادة الدول، وتوفير مساعدة فنية للدول النامية، واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، مع احترام الخصوصية والحقوق الرقمية.

التعاون الاقتصادي والمالي والتجاري

نُعيد تأكيد التزامنا بتعزيز التعاون الاقتصادي والمالي والتجاري بين دول البريكس، استنادًا إلى مبادئ المساواة والمنفعة المتبادلة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية.

ونُبرز أهمية دعم النمو الاقتصادي المستدام، وتعزيز سلاسل القيمة، وزيادة الإنتاجية، وتشجيع الابتكار، وتسهيل تدفق التجارة والاستثمار.

نُرحب باعتماد خريطة طريق البريكس للتعاون التجاري لعام ٢٠٢٥، وخطة عمل مجموعة العمل المعنية بمناخ الأعمال للأعوام ٢٠٢٤–٢٠٢٦، كأدوات رئيسية لتعزيز العلاقات الاقتصادية بين الدول الأعضاء.

نُشدد على الحاجة إلى تعزيز بنية النظام النقدي والمالي الدولي ليكون آمنًا ومرنًا وعادلًا وأكثر تمثيلًا، ويعكس الحقائق الاقتصادية الحالية، ويُعزز النمو طويل الأجل للجميع.

نؤكد أهمية النظام التجاري متعدد الأطراف المفتوح والعادل، الذي يسمح لجميع البلدان، خاصة النامية، بالاستفادة من فرص التجارة الدولية.

تعزيز الشراكات الاقتصادية بين البريكس والدول النامية

نرحب بتقرير «رؤية البريكس للتعاون الاقتصادي مع الشركاء»، وندعو إلى تعميق العمل المؤسسي لدول البريكس على هذا الأساس، مع التشديد على:

- توسيع التجارة بين البريكس والدول النامية،
- تعزيز تكامل سلاسل القيمة،
- الاستثمار في البنية التحتية،
- التكنولوجيا ونقل المعرفة،
- تعزيز التنمية المستدامة،
- وتقوية الأنظمة المالية.

نؤيد جهود تحالف الأعمال لدول البريكس (BRICS Business Council) في تعميق الروابط بين القطاعات الخاصة، وتعزيز الحوار بين الحكومات والقطاع الخاص، كجزء أساسي من التنمية الاقتصادية المستدامة.

نُرحب أيضًا بمساهمة منتدى البريكس للأعمال، ونشجع على استمراره كمنصة مفيدة لتعزيز التعاون التجاري والاستثماري بين دول البريكس.

نظام المدفوعات في البريكس وتعددية العملات

نُبرز أهمية تعزيز التعاون بين البنوك المركزية في دول البريكس، بما في ذلك في:

- أنظمة الدفع والتسوية،
- المعايير المالية،
- مكافحة غسل الأموال، وتمويل الإرهاب،
- وتسهيل المعاملات العابرة للحدود بالعملات المحلية.

نُكرر دعمنا لتوسيع استخدام العملات المحلية في التجارة بين دول البريكس، ومع شركائها التجاريين، كجزء من تعزيز سيادة السياسات المالية والنقدية.

نُرحب بتقرير مجموعة عمل البريكس بشأن العملات المحلية والمدفوعات، ونُشجع على إجراء مزيد من التحليلات المشتركة حول سبل تحسين أنظمة الدفع بين دول البريكس، وتعزيز ترابط شبكات البنية التحتية للمدفوعات.

البنك الجديد للتنمية (NDB)

نُشيد بعمل البنك الجديد للتنمية باعتباره أداة حيوية للتنمية المستدامة وتمويل البنية التحتية، ونُرحب بالتقدم المحرز في زيادة عدد أعضائه، وتعزيز مشاركته في المشاريع الإقليمية المتعددة الأطراف.

نُشدد على أهمية تعزيز التعاون بين البنك الجديد للتنمية والمؤسسات التنموية الوطنية والإقليمية والدولية الأخرى، وعلى ضرورة أن يكون للبنك دور أكبر في:

- دعم الاقتصادات الضعيفة،
- التمويل المناخي،
- تمويل مشاريع الصحة والتعليم،
- وتحفيز مشاريع البنية التحتية التكنولوجية.

الزراعة والأمن الغذائي

نعترف بأن الزراعة تلعب دورًا حاسمًا في القضاء على الفقر والجوع، وضمان الأمن الغذائي، وتحسين سبل العيش، ودفع التنمية الريفية.

نُرحب باعتماد خطة العمل المشتركة للتعاون الزراعي والغذائي لدول البريكس (٢٠٢٥–٢٠٢٨)، وندعو إلى تعزيز التعاون في تبادل التكنولوجيا الزراعية، وبناء القدرات، وتيسير التجارة بالمنتجات الزراعية.

نُشدد على أهمية أنظمة غذائية مرنة ومستدامة تُمكن الجميع من الحصول على غذاء مغذٍ وكافٍ.

الطاقة والتغير المناخي

نُعيد تأكيد التزامنا بتنفيذ اتفاق باريس بشكل كامل ومتوازن، وبمبادئ الاتفاقية الإطارية للأمم المتحدة بشأن تغير المناخ، لا سيما مبدأ المسؤوليات المشتركة ولكن المتمايزة، والقدرات الوطنية المختلفة.

نُعرب عن قلقنا من التأثير غير المتناسب لتغير المناخ على الدول النامية، ونشدد على ضرورة الدعم المالي والتقني من الدول المتقدمة.

ندعو إلى تعزيز سلاسل الإمداد في مجال الطاقة، وتبادل التكنولوجيا، وزيادة الاستثمار في الطاقات المتجددة، وتحديث شبكات الكهرباء.

نُدرك أن انتقال الطاقة يجب أن يكون عادلًا ومنصفًا، مع ضمان أمن الطاقة، والوصول الميسور إليها، والاستدامة.

التعليم والتدريب

نُشدد على أن التعليم الجيد والشامل والمنصف هو حجر الأساس للتنمية المستدامة.

ندعو إلى تعزيز التعاون الأكاديمي بين دول البريكس، وتيسير تبادل الطلاب، والباحثين، والخبرات التربوية.

نُرحب بالنتائج الإيجابية لاجتماع وزراء التعليم لدول البريكس الذي عُقد في ٢٢ يونيو ٢٠٢٥، وندعو إلى متابعة تنفيذ توصياته، لا سيما في مجالات:

- التعليم التقني والمهني،
- التعليم الرقمي،
- تعليم العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات (STEM)،
- وتدريب المعلمين.

الشباب والتوظيف

نُسلّم بالدور المحوري الذي يلعبه الشباب في تحقيق السلام، وبناء المستقبل، وتشكيل الاقتصاد الرقمي.

ندعو إلى توسيع المبادرات الشبابية المشتركة، لا سيما في مجالات ريادة الأعمال، والابتكار، والمبادرات البيئية، والفن والثقافة.

نُرحب بنتائج منتدى شباب البريكس ٢٠٢٥، وندعو إلى المزيد من المبادرات للتشبيك بين الشباب من الدول الأعضاء.

نؤكد على أهمية خلق فرص العمل اللائق للشباب، خاصة في القطاعات الجديدة والمستدامة.

الثقافة والإعلام

نُؤكد أن الثقافة تُمثل عنصرًا أساسيًا للتفاهم المتبادل والاحترام المتبادل بين الشعوب.

ندعو إلى تعزيز التعاون الثقافي، وتبادل الفنون والتراث، ودعم المشاريع الإبداعية المشتركة، بما في ذلك السينما والموسيقى.

نُشدد على أهمية دور الإعلام في نشر المعلومات الموضوعية، ونُدين استخدامه في نشر الكراهية أو التحريض أو التزييف.

إصلاح البريكس وتوسيع العضوية

نُرحب بانضمام أعضاء جدد إلى مجموعة البريكس، مما يعكس قوة المجموعة المتنامية، ويُسهم في بناء نظام عالمي أكثر عدلًا وتعددية.

نُؤكد أن توسيع البريكس يجب أن يستند إلى أسس التوافق، والشمول، والتوازن الجغرافي، والتنوع الثقافي والاقتصادي، بما يُعزز مركز الجنوب العالمي.

نُعرب عن ترحيبنا بمشاركة قادة:

- مصر، إثيوبيا، إيران، السعودية، الإمارات، كأعضاء جدد،
- وكذلك قادة الدول المدعوة: كوبا، بوليفيا، كازاخستان، تايلاند، نيجيريا، بنغلاديش، فيتنام، أنغولا، سريلانكا.

الخاتمة – روح بريكس ومُستقبل التعاون

نجدد التزامنا بروح بريكس القائمة على:

- الاحترام المتبادل،
- السيادة،
- عدم التدخل،
- المنفعة المتبادلة،
- الشمولية،
- والتعاون البنّاء.

نؤكد أن عالم اليوم يتطلب نماذج جديدة من التعاون الدولي، تقوم على العدالة والمساواة والسيادة الوطنية.

نتطلع إلى مواصلة تعزيز الشراكات بين دول الجنوب، والعمل نحو نظام عالمي أكثر توازنًا، يستند إلى التعددية والاحترام المتبادل.

نشكر البرازيل على تنظيمها الناجح للقمة السابعة عشرة، ونتطلع إلى القمة القادمة في روسيا، ٢٠٢٦.

تقييم البروفسور جيفري ساكس لمؤتمر «بريكس» في البرازيل

دول البريكس تقول «لقد وصلنا إلى هنا ونحن ننمو بسرعة»

• إعلان «ريو دي جانيرو» في ٢٠٢٥/٧/٦ - تعزيز التعاون بين بلدانٍ الجنوب من أجل حوكمة أكثر شمولاً واستدامة.

أولًا: الأهمية السكانية والاقتصادية لمجموعة البريكس

٢.البريكس مهمة جدًا من منظور ديمغرافي واقتصادي.

٣.الدول الأعضاء في البريكس، عند جمع سكانها، تمثل حوالي ٥٠٪ من سكان العالم.

٤.بالمقابل، يبلغ مجموع سكان الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي معًا حوالي ٨٠٠ مليون نسمة، أي ما يعادل ١٠٪ من سكان العالم فقط.

٥.هذه الـ١٠٪ من الدول كانت تقود النظام العالمي منذ قرون، وتحديدًا من خلال:

- o دول شمال الأطلسي،
- o القوى الإمبريالية الأوروبية،
- o والولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية.

ثانيًا: رسالة البريكس للعالم

٦.تقول دول البريكس:
«لقد وصلنا. نحن متطورون. نحن ننمو بسرعة. نحن في طليعة التكنولوجيا.»

٧.هذه الدول لم تعد تقبل بأن يُملى عليها، أو على بقية دول العالم، ما يجب فعله من قبل تلك الـ١٠٪ التي قادت العالم سابقًا.

٨.ما يحدث اليوم هو ميلاد التعددية القطبية، أي نشوء مراكز متعددة للقوة عالميًا.

٩.لكن ما تطالب به البريكس يتجاوز التعددية القطبية، إذ إنها تريد:

- o التعددية الحقيقية،
- o التي تعني سيادة القانون،
- o وهي سيادة يجب أن تنطبق على الولايات المتحدة وأوروبا أيضًا، وليس فقط على بقية الدول.

١٠.هذا المبدأ، بحسب ساكس، يجب أن يُطبق على جميع بلدان العالم، سواء كانت سابقًا تحت الهيمنة أو لا.

ثالثًا: السياسات الأحادية الأميركية مقابل دعوة البريكس

١١.نحن قريبون من الموعد النهائي الذي حدده دونالد ترامب لفرض الرسوم الجمركية العالمية.

١٢.هذا الحدث «هزّ الجميع»، ويُظهر أن ترامب ليس انعزاليًا بل أحادي الجانب تمامًا.

١٣.بحسب ساكس، يتصور ترامب أن الولايات المتحدة:

- قادرة على فعل ما تشاء،
- على تهديد من تريد،
- على القصف متى شاءت،
- على فرض العقوبات متى شاءت،
- على فرض الرسوم الجمركية متى شاءت،
- دون اعتبار للقانون الدولي.

١٤.العقوبات الأميركية التي تُفرض عامًا بعد عام تم إعلانها مخالفة للقانون الدولي، وذلك بأغلبية ساحقة في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

١٥.في المقابل، تطالب دول البريكس بـ:
«سيادة القانون، وليس أن تفعل الولايات المتحدة ما تشاء.»

رابعًا: توسّع البريكس ورسالتها السياسية

١٦.الإجراءات الأحادية لترامب تُعزز من موقف البريكس.

١٧.مجموعة البريكس أصبحت الآن في المرتبة العاشرة من حيث العضوية (أي أنها تضم ١٠ أعضاء حاليًا).

١٨.المملكة العربية السعودية ليست في وضع عضوية مكتمل حاليًا.

١٩.بالإضافة إلى الأعضاء الـ١٠، هناك ١٠ شركاء آخرين في مسارات التعاون.

٢٠.كل هؤلاء الشركاء يقولون إنهم يريدون قواعد منهجية عالمية يلتزم بها الجميع، بما فيهم القوى المهيمنة سابقًا.

خامسًا: حالة إيران – نموذج للردع والدعم في ظل البريكس

٢١.الحرب التي وقعت بين إيران وإسرائيل كانت:
- عنيفة،
- قصيرة الأمد،
- استمرت ١٢ يومًا فقط.

٢٢.بدأت الحرب من جانب إسرائيل بشكل أحادي، ثم انضمت إليها الولايات المتحدة.

٢٣.توقفت الحرب بسرعة، وأحد أسباب ذلك:
- أن إيران سببت ضررًا كبيرًا لإسرائيل من خلال هجماتها الصاروخية.

٢٤.جيفري ساكس يؤكد:
«بغض النظر عن الخطابات الطنانة القادمة من واشنطن، فإن واشنطن لم تعد مهيمنة.»

٢٥.إيران حصلت على:
- دعم دبلوماسي قوي من روسيا والصين.
- كانت لديها وسائلها الخاصة للرد.

٢٦.هذا ما يصفه ساكس بأنه شكل من أشكال «الردع».

٢٧.ويختم هذه الفقرة بالقول إن البريكس ترمز إلى توازن حقيقي للقوة في مواجهة الهيمنة السابقة،
وهو ما يمثل تغيرًا واضحًا خلال آخر ٢٠ سنة أو نحو ذلك.

سادسًا: الصين داخل البريكس – المكانة الاقتصادية والتحالفات

٢٨.أولًا، فإن الاقتصاد الصيني أكبر من الاقتصاد الأميركي إذا ما قيس بمجموعة مشتركة من الأسعار (أي بمفهوم تعادل القوة الشرائية PPP).

٢٩.وفق تقديرات صندوق النقد الدولي:
- الصين أكبر من الولايات المتحدة بنحو ٣٠٪ عند قياس الناتج بالقوة الشرائية.
- الإنتاج الصناعي في الصين أصبح أكبر بكثير من الإنتاج الصناعي في الولايات المتحدة.

٣٠.الصين تدرك أن الولايات المتحدة لا تحب المنافسين.

٣١.لذلك تسعى واشنطن إلى:
- التحالف ضد الصين،
- وجرّ أوروبا إلى تحالف مناهض للصين.

سابعًا: شبكة الصين الدولية ودور البريكس

٣٢.الصين لديها الكثير من الحلفاء عالميًا، لأنها:
- الشريك التجاري الرئيسي لأكثر من ١٠٠ دولة حول العالم.

٣٣.دول البريكس، التي تشكل حوالي نصف سكان العالم، هي شركاء طبيعيون للصين.

٣٤.بناءً عليه، فإن البريكس يُعد:
- نادٍ مفيد واستراتيجي للصين،
- ومفيد أيضًا لروسيا والهند.

٣٥.يرمز البريكس إلى:
«وصول هذه الدول كقوى عظمى في العالم، لن تخضع بعد الآن للهيمنة أو الضغط على الطريقة القديمة التي تمارسها أوروبا والولايات المتحدة.»